التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي والعرقي

-1-



اللواء الركن: محمود شيت خطاب

مستهل

لم تكن محاولات التفتيت الطائفي والعرقي للعرب جديدة، بل هي قديمة، ولكنّها استمرت بلا هوادة، تتصاعد تارة وتشتد، وتخفت أخرى وتمهد، فلمّا جاورت اليهود العرب وكانت قريبة منهم في الجوار، تصاعدت تلك المحاولات واشتدت . كما جرى في العراق على أيام البابليين والآشوريين، وفي منطقة المدينة المنورة على عهد الرسالة، وفي البلاد العربية عامة بعد ظهور الكيان الصهيوني في الأرض العربية المحتلة: فلسطين.

الصهيونية ظهرت للوجود بشكل رسمي بعد المؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897 في مدينة بازل السويسرية، والصهيونية هي عبارة عن زج اليهودية في السياسة، فكل الذين عملوا في السياسة من يهودهم في الواقع صهاينة، دون التعرض للاختلاف في الرأي من جراء الأسماء والمسميات، وزعماء الصهيونية هم الذين قالوا: إن الصهيونية هي العودة إلى اليهودية في روحها، والصهاينة هم اليهود العاملون في السياسة. وقد عمل اليهود في السياسة منذ أقدم العصور كما هو معروف.

ولم يخف الصهاينة القدامى والجدد، عداوتهم للوحدة العربية، تحت لواء الإسلام على عهد الرسالة، وحتى عصرنا الحاضر، وقد ذكر أنتوني ناتنك: "أن زعماء وزارة الخارجية الصهيونية قالوا له: إن حكومتهم ستلجأ إلى كل وسيلة ممكنة، من أجل إبقاء جيرانها العرب ممزقين"(1) لأن الصهاينة الجدد يعلمون حق العلم: "أن القضية الفلسطينية لن تحل حلاً نهائياً لصالح العرب، إلا إذا اتحد العرب"(2) كما يقول المؤرخ البريطاني توينبي.

وتاريخ الحرب العربية الصهيونية منذ سنة 1948 حتى اليوم، تثبت أن الصهاينة قاتلوا جيوشاً عربية منفردة وليس جيشاً عربياً واحداً، وقاتلوا بقيادة صهيونية واحدة قيادات عربية شتى، وازدردوا الجيوش العربية على انفراد لقمة بعد لقمة، وما كان بمقدورهم ازدراد جيش عربي واحد لقمة واحدة. فلما هاجم الصهاينة لبنان ترك العرب لبنان يقاتل

منفرداً، دون أن تمد له دولة عربية دعماً مادياً، بل كان موقف العرب اتجاه محنة لبنان موقف المتفرج، كأن أمر لبنان لا يهمهم من قريب ولا بعيد.

تعالج هذه الدارسة، لمحات من محاولات اليهود الصهاينة في إضعاف العراق قديماً، وفي مصاولة الإسلام، ومقاومتهم للوحدة العربية بالتفتيت الطائفي والعرقي، في محاولة لتشخيص الداء، تمهيداً لوصف الدواء، مذكرين (لعل الذكرى تنفع المؤمنين).

وسنجد أن اليهود عوملوا بالحسنى من العرب قبل الإسلام، ومن العرب المسلمين بعد الإسلام، في مختلف أصقاع البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، وفي مختلف العهود والأزمنة، ولكنهم قابلوا الحسنى بالغدر والعنف والقسوة، واستولوا على فلسطين وأجزاء أخرى من سوريا ولبنان، وجعلوا من أهلها لاجئين يطاردونهم بلا رحمة في لبنان وفي الأرض المحتلة، بأساليب مباشرة وغير مباشرة، وهكذا أثبت هؤلاء المعتدون أنهم عبيد مصالحهم وحدها، ولا علاقة لهم بالوفاء ولا بالمثل التي تميز الإنسان السوي من غيره من وحوش الغاب.

محاولة إضعاف العراق القديم

تعتبر الطائفة اليهودية في العراق، من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، إذ يرجع معظمها إلى أولئك الذين اقتيدوا أسرى إلى بابل(3) على يد الملك الكلداني الشهير نبوخذ نصر عامي (597 ق.م و586 ق.م)، وحافظوا على وجودهم في العراق على مر العصور، ولم يتعرضوا إلى نفي أو اضطهاد أو هجرة إلى الخارج(4)، وهؤلاء اليهود هم الذين وقفوا ضد نبوخذ نصر وجيشه، فأسرهم نبوخذ نصر، ورافقتهم عوائلهم إلى العراق، فهم لا يشكلون إلا جزءاً من يهود فلسطين(5)، وليس جميع يهود فلسطين كما يرى قسم من المحققين، لأن في هذا الادعاء مبالغة، إذ لا يمكن أسر جميع يهود المنطقة مرة واحدة، ومن المعقول أسر المقاتلين حسب، وغض الطرف عن غير المقاتلين(6). إلا أن هذا لا يعني البتة أن جميع يهود العراق قد جاءوا قسراً عن طريق الأسر البابلي الأول سنة 597 ق.م، والثاني سنة 586 ق.م، بل إن قسماً لا يستهان به من الطائفة اليهودية في العراق القديم، جاءوا طوعاً في وقت مبكر إلى العراق، لاستغلال مواهبهم والمساهمة في العمل للدولتين البابلية والآشورية(7) والاستفادة من خيرات العراق الزراعية والتجارية، غير أن احتلال كورش الفارسي للعراق، وإسقاطه للدولة الكلدانية سنة 538 ق.م، كان بمثابة الإفراج لمن اعتبر نفسه أسيراً من يهود فلسطين. وكان لتعاون اليهود مع كورش في غزو بابل من جهة، وتمهيدهم لتفتيت الجبهة الداخلية، بإشعال الفتن وتفريق الصفوف والتأثير في معنويات الكلدانيين،من جهة ثانية ما سهل على كورش التغلب على البابليين في ميدان القتال، كما استغل اليهود زوجة كورش اليهودية الجميلة لتحريضه على توسيع رقعة الدولة الفارسية على حساب العراق، فلما انتصر كورش سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين لمن أراد

منهم، وهكذا عادت القافلة الأولى من بابل إلى فلسطين، وتبعهم بعد ذلك جمع غفير(8) إلا أن العائدين لم يكونوا كل اليهود، إذ فضل قسم منهم العيش في العراق، بعد أن تيسر رغد العيش فيه. وبذا يمكن القول: بأن يهود العراق يتألفون من: أسرى، ومهاجرين طواعية، ثم أخذ عددهم يزداد حتى بعد العودة على عهد كورش، مع مرور الزمن، ومما ساعد على ازدياد عددهم، ما كانوا يتعرضون له من اضطهاد في فلسطين على يد أباطرة الرومان، فكانت بيئة العراق بمثابة متنفس لهم، يغدون إليها من وقت إلى آخر فراراً من ظلم الرومان، وهكذا تكونت جاليتهم وأصبح لهم كيان في العراق(9).

وقد لقي يهود العراق، في العراق القديم، كل رعاية واهتمام، فقد أسكن نبوخذ نصر أسراهم في بابل، وكان بإمكانه إسكانهم في الصحراء، ولكنه حباهم برعايته الكاملة، ولم يتعرضوا في العراق للنفي أو الاضطهاد كما تعرض غيرهم في البلاد الأخرى، وكان إيثار أكثر بقايا الأسرى منهم البقاء في العراق وعدم النزوح منه بعد سقوط بابل، دليلاً قاطعا على أنهم كانوا في رعاية وعناية كاملتين في هذا البلد الأمن المطمئن، وحتى الذين عادوا إلى فلسطين هاجروا من جديد إلى العراق لأنهم افتقدوا بعد عودتهم عدل العراق، وتحملوا ظلم الرومان، فآثروا العدل على الظلم. ولكن كان جزاء العراق وأهله من الذين أحسنوا إليهم وأطعموهم من جوع وآمنوهم من خوف، جزاء سنمار، إذ فرقوا صفوف العراقيين، وشتتوا كلمتهم، وأنشبوا بينهم الحقد والبغضاء وفتنوا سكان العراق وجعلوا منهم طوائف وفرقا، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، وزعزعوا معنوياتهم، وحرضوا عدوهم على غزوهم، وعاونوا الغازي مادياً ومعنوياً، حتى تحققت له الغلبة. فكانوا عملاءه علناً بسقوط بابل، بعد أن كانوا عملاءه سرا قبل سقوطها.

وهكذا كان دأب اليهود الصهاينة القدامى، منذ خمسة وعشرين قرنا خلت: تفتيت البلد الذي يعيشون فيه إلى طوائف وعروق، ويعاونون أعداءه عليه ويتعاونون عليه، ويحرضون الغزاة على استعبادهم لعله يستفيدون مما جنت أيديهم ما يشبع رغبتهم الأزلية إلى التخريب والدماء.

مصاولة الإسلام والمسلمين في عهد الرسالة

1 ـ اختلف المؤرخون في الوقت الذي هاجر فيه اليهود إلى جزيرة العرب، ويرى المحققون أن هجرتهم إليها كانت في القرن الأول الميلادي سنة (70م) بعد تنكيل الرومان بهم، ويؤيد هذا الرأي طائفة من مؤرخي اليهود والأجانب، كما تؤيده المصادر العربية. وكانت هجرتهم لأسباب اقتصادية، فنزلوا على طريق مكة الشام التجارية.

وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في السنة الثالثة عشرة من بعثته أي سنة (622م)، ومعنى الهجرة عسكرياً، اجتماع القائد بجنوده، في قاعدتهم الأمينة(10)، وكان من جملة ما اتخذه الرسول القائد عليه الصلاة

والسلام من إجراءات لترصين قاعدته الأمنية في المدينة المنورة، عقد (معاهدة) بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى، وادعهم فيها وأقرهم على دينهم وأموالهم، وفي هذه المعاهدة نظم الرسول عليه الصلاة والسلام الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لسكان المدينة المنورة من مسلمين ومشركين ويهود: "... وإن من تبعنا من اليهود، فإن له النصر والأسوة ـ أي المساواة في المعاملة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم"(11) فأصبح بين اليهود والمسلمين بموجب هذه المعاهدة ارتباط مصيري يلتزم به الطرفان في السلم والحرب، ولا يخرجون عن المعاهدة نصاً وروحاً.

ولكن اليهود الصهاينة القدامى، منذ الأيام الأولى التي ظهر فيها النبيّ عليه الصلاة والسّلام في المدينة المنوّرة، نصبوا له العداء. وانطلقوا بمكرهم يكذبونه ويؤلبون عليه العرب، ولا يدعون سبيلاً من سُبل الكيد له ولرسالته إلاّ ويسلكونه. وتطيّروا من قدومه إلى المدينة، وغلا الحسد والحقد في قلوبهم، وأخذوا ينظرون إلى الإسلام بعيون متوجّسة خائفة، تخشى رسوخ قدمه، وانتشار دعوته، واجتماع الأوس والخزرج تحت لوائه، بعد ذلك العداء الدموي الطويل، الذي كانوا يستغلونه فيحققون به لأنفسهم كثيراً من المصالح والمكاسب والامتيازات الاقتصادية، ولم يقتصروا على التجارة وحدها باعتبارهم يتمركزون في أهم عُقد طريق المواصلات التجاري، بين مكة التي تتصل باليمن والهند، ويعمل أهلها بالتجارة في رحلة الشتاء والصيف، وبين بلاد الشام وأرض الروم، وهي من أهم الطرق التجارية العالمية في حينه، بل شمل نشاطهم الزراعة أيضاً، فسيطروا على أفضل مزارع النخيل في المدينة ووادي القرى وخيْبر، فتهددت مصالح اليهود بالإسلام الذي حلّ في المدينة وشيكا.

2 ـ وبدأت مكائدهم تترى:

فكانت المكيدة الأولى التظاهر بالدخول في الإسلام نفاقاً، ليعملوا على تخريبه من الداخل، وليطلعوا على أسرار المسلمين وينقلوها إلى جماعاتهم وحلفائهم.

وكانت المكيدة الثانية محاولة الدخول في الإسلام، ثمّ الخروج منه، ليفتنوا بعض المسلمين عن دينهم، فيرتدوا مثلهم.

وكانت مكيدتهم الثالثة في إحراج الرسول عليه الصلاة والسّلام بسيل من الأسئلة المحرجة، التي يَلبسون فيها الحق بالباطل، لعلهم يوهمون العرب أنهم أعلم من الرسول عليه الصّلاة والسلام.

والمكيدة الرابعة في الحرب الدعائية القائمة على الضغط بالتعيير والتنقيص والشتائم لمن شرح الله صدره للإسلام، فأسلم، كما جرى بالنسبة لأحد أحبارهم الذي أسلم. وهو عبد الله بن سلام، الذي كان من أكبر أحبارهم، وعالماً بالتوراة، فنقم عليه اليهود نقمة شديدة بسبب إسلامه، وكالوا له الاتهامات الكاذبة ظلماً وعدواناً.

أما المكيدة الخامسة فهي الغدر ونقض العهود والمواثيق التي يبرمونها بينهم وبين المسلمين، كلما اشتدت الأزمات على المسلمين، وظنوا أنّ نقض عهودهم والغدر بالمسلمين قد يوقع بالرسول عليه الصلاة والسّلام وبالمسلمين أذى شديداً.

والمكيدة السادسة في الهزء والسخرية والطعن في الإسلام، كلما سنحت الفرصة لهم بذلك، بغية الصدّ عن اعتناقه، وإضعاف حماسة المسلمين له، إذ يحذرُ ضعفاؤهم من هجمات حرب الهزء والسخرية والطعن والتجريح.

والمكيدة السابعة في الحرب الاقتصادية، بإيجاد نوع من الضغط المالي على المسلمين، حتى ينفضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمكيدة الثامنة، هي التفريق بين المسلمين، وتشقيق وحدة جماعتهم، لضرب بعضهم ببعض، وإضعاف قوتهم.

والمكيدة التاسعة في فرض ألوان من الحرب بالإعلام والقتال، ومحاولة اغتيال رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والمكيدة العاشرة في تأليب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام، على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه، وتحريضهم على قتالهم، وتوهين أمر المسلمين في نفوسهم.

والمكيدة الحادية عشرة هي في الاتفاقيات السرّية بينهم وبين القبائل المعادية للمسلمين التي اشتبكت معهم في معارك حربية، وذلك بالاتفاق معهم على أن ينصروهم ويغدروا بالمسلمين، بينما كان المسلمون غافلين عنهم واثقين بأمانهم، مصدّقين عهودهم ومواثيقهم.

إلى غير ذلك من مكائد عرف بها يهود في تاريخهم، فهي من خصائصهم الخلقية التي لا يستطيعون التخلي عنها.

3 ـ فمن الأمثلة على المكيدة الأولى: التظاهر بالدخول في الإسلام نفاقاً، ما تظاهر به بالإسلام بعض أحبار يهود من بني قَيْنقاع مثل: سعد بن حُنَيف، وزيد بن اللُّصَيت، ونُعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حُرَيملة، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا، فقد أسلم هؤلاء نفاقاً للدسّ، ولكنهم أخفقوا في محاولاتهم وانكشفوا للمسلمين، فافتضح أمرهم، وأصبحوا يعرفون بالنفاق.

ومن أمثلة المكيدة الثانية: الدخول في الإسلام صباح النهار، والخروج منه آخره، ليقلدهم العرب المسلمون في ذلك، كما فعل عبد الله بن ضيف، وعديّ بن زيد من يهود بني قَيْنقاع، والحارث بن عوف وهو من يهود بني قريظة، ولكن محاولتهم انكشفت للمسلمين، فعُرفوا بالنفاق، وحذر منهم المسلمون.

ومن أمثلة المكيدة الثالثة: أسئلة التعنت والإحراج، أنّ رافع بن حُريملة، وهو حبر من أحبار يهود بني قينقاع، ووهب بن زيد، وهو حبر من أحبار بني قريظة، جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: »يا محمّد! ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهارا، نتبعك ونصدّقك«. سؤالان يحملان معنى التعنّت، أراد اليهوديان بهما إحراج الرسول عليه الصلاة والسلام، وزعزعة ثقة المسلمين به في حالة عدم إجابتهما، ولكنّ هذه المحاولة لم تنطل على المؤمنين، فوئدت في مهدها، وأخفقت إخفاقا كاملاً.

وقد ضربنا مثلاً للمكيدة الرابعة: الحرب الدعائية، بما فعلوه بعبد الله بن سلام، الذي كان أحد أحبارهم، وأحد علمائهم في التوراة.

أما المكيدة الخامسة: في الغدر ونقض العهود والمواثيق، فقد كان الغدر بالنسبة ليهود هو القاعدة، والوفاء هو الاستثناء، ومن أشهر غدرهم غدر بني قريظة في غزوة الأحزاب(12)، فعاقب النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة بعد انسحاب الأحزاب، فنالوا حسابهم العادل الذي يستحقونه(13)، وقصة غدر اليهود في غزوة الأحزاب (الخندق) مشهورة معروفة.

والمكيدة السادسة: الهزء والسخرية والطعن في الإسلام، والمثال على ذلك ما فعله فنحاص وهو حبر من أحبار اليهود من يهود بني قينقاع، ولكنّ سخريته ارتدت عليه وعلى أمثاله بالخزي والعار، لأن المسلمين عرفوا أن مصدرها الحقد والضغينة.

والمكيدة السابعة: الحرب الاقتصادية، فحاولوا تخزيل المسلمين عامة والأنصار خاصة، عن بذل أموالهم في سبيل الله، فطاف حُييٌ بن أخطب، وكَردَم بن قيس حليف كعب بن الأشرف، وهما من أحبار يهود بني النضير، وأسامة بن حبيب، ونافع بن نافع وهما من أحبار يهود بني قريظة، وبحر بن عمر ورفاعة بن زيد بن التابوت وهما من أحبار يهود بني قينقاع - طافوا برجال من الأنصار، يقولون لهم: "لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون". فأنزل الله تعالى فيهم قوله في سورة النساء: {الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً}(14) فكان رد فعل الأنصار المبالغة في الإنفاق، وبذل أموالهم رخيصة في سبيل الله.

والمكيدة الثامنة: التفريق بين المسلمين وتشقيق وحدة جماعتهم، فمارس يهود تفريق وحدة الصف الداخلي للمسلمين، ومحاولة ضرب بعضهم ببعض، فدبروا مكيدة إثارة النعرات الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج، قبل أن يؤلف الله بينهم ويوحّد صفهم بالإسلام، وذلك بإحياء الخلاف القديم بين الأوس والخزرج وتصدى لتنفيذ ذلك حبر من أحبار يهود بني قينقاع اسمه شاس بن قيس، وكان شيخاً موغلاً في عداوة الإسلام فمرّ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، فوجدهم مجتمعين يتحدثون،

فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم، فقال: "قد اجتمع ملأ بني قيْلة بهذه البلاد لا والله، مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها قرار" وأمر شاس شاباً من يهود كان معه، فقال له: "اعمدْ إليهم، فاجلسْ معهم، ثم اذكرْ يوم بُعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار". وكان يوم بُعاث يوماً من أيام حروب الجاهلية، اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج. وفعل الشاب ما أمره به شاس، فتنازع الأوس والخزرج وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيّين على الرّكب، فتلاسنا وتقاولا، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم في الحَرّة وهم يستعدون للقتال، فقطع دابر الفتنة وأعاد الأمور إلى نصابها.

والمكيدة التاسعة: فرض ألوان من الحرب المباشرة، كما جرى في الحرب الإعلامية على ألسنة شعرائهم في هجاء النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين، كما فعل اليهوديان أبو عفل وكعب بن الأشرف.

وبدأ بنو قينقاع بالتجسس على المسلمين لحساب مشركي قريش، كما تعرضوا لامرأة مسلمة تبيع حليّها في سوق بني قينقاع ونكثوا العهد، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى وادي القرى(15) بعد أن حاصرهم وضيّق عليهم الحصار وانتصر عليهم(16).

وتآمر يهود بني النضير على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم، فلما انتصر عليهم أجلاهم من المدينة المنورة إلى خيبر، فخرجوا عن المدينة(17). وحين كان عشرة آلاف من الأحزاب، يحاصرون المدينة المنورة، نقض بنو قريظة العهد وانضموا إلى الأحزاب، فتحرّج موقف المسلمين بشدة وأصبح الخطر محدقاً بهم من الداخل والخارج فلما رحل الأحزاب عن المدينة حاصر المسلمون بني قريظة لخيانتهم ولأنهم حشدوا الأحزاب لحصار المدينة، فانتصر المسلمون عليهم، فقتلوا المقاتل وسبوا الذراري، وغنموا أموالهم(18).

وحاولت امرأة يهودية دسّ السم للنبي صلى الله عليه وسلم في الطعام، فنفذت خطتها بتحريض من أحبار يهود(19).

والمكيدة العاشرة: تأليب القبائل العربية التي لم تدخل الإسلام، فقد قصد نفر من يهود قريشاً في مكة، فيهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، فدعوهم إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم، ووعدوهم أنهم سيكونون معهم في قتال المسلمين، ولما وافقت قريش على قتال المسلمين، قصد أولئك النفر من يهود غطفانَ وغيرَها من القبائل، وأخبروهم أن قريشاً معهم، فوافقت غطفان والقبائل الأخرى على حرب المسلمين(20).

وهكذا فقد كشف اليهود القدامى على عهد الرسالة، جهودهم في مصاولة الإسلام والمسلمين، مستهدفين عدم توحيد سكان المدينة المنورة «يثرب» من الأوس والخزرج، وإبقاء العداوة بينهم قائمة والحرب مستعرة، ليضمنوا بقاء أعدائهم ضعفاء، من أجل التحكم فيهم وانتهاب خيراتهم واحتكار مواردهم الاقتصادية، وعدم توحيد العرب في شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، ليبقى التفرق سائداً، والحرب ناشبة، والضغائن والأحقاد متحفزة، تعمل عملها المدمر في حياة العرب وحاضرهم ومستقبلهم، لأن اليهود يعلمون أن العرب إذا توحدوا تحت لواء الإسلام، أصبحوا بالوحدة والإيمان، قوة ضاربة، تجد لها متنفساً في الفتوح، كما جرى فعلاً، فلم يبق اليهود سادة الموقف، يتحكمون بمصائر المنطقة العربية اقتصادياً بخاصة واجتماعياً بعامة، بل أصبح العرب المسلمون بالوحدة هم السادة. ليس في شبه الجزيرة العربية فحسب بل خارجها في بلاد فارس وبلاد الروم فثلوا بعد سنوات قليلة عرش كسرى وزعزعوا عرش قيصر، وأصبح اليهود بالمؤخرة بالنسبة للعرب والمسلمين، وهذا ما كانوا يخشونه ويحذرونه: الوحدة، والإيمان، فأحبط المسلمون مكايد اليهود، وانتصر الحق على الباطل وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

***

الهوامش

(1) وانظر: طريق النصر في معركة الثأر (262). Nuting, Antong: I saw for my self p.93, London 1958.

(2) انظر ــالدي نقولا هكذا ضاعت وهكذا تعود ص (256) بيروت 1964.

(3) مذكرات غروبا ــانظر نجدة فتحي صفوة العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب ص (45) بيروت 1969.

(4) د. علي إبراهيم عبدة، وخيرية قاسمية ــيهود البلاد العربية ص (45) منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت 1971.

(5) صادق حسن السوداني ــالنشاط الصهيوني في العراق 1914 1952 دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام بغداد ط2 1986.

(6) غنيمة ــيوسف رزق الله ص (52) نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق بغداد 1924.

(7) عون ــالدكتور حسن العراق وما توالى عليه من حضارات الاسكندرية 1953 ط2.

(8) غنيمة ــالمصدر السابق ص (52).

(9) عون ــالمصدر السابق ص (218).

(10) القاعدة الأمنية: المدينة أو المنطقة الذي يستند عليها الجيش في إمداده بالرجال والسلاح والمواد، وينطلق منها، ويعود إليها.

(11) خطاب ــمحمود شيت الرسول القائد انظر نص المعاهدة وشروحها ص (71 75) دار الفكر بيروت 1974 ط5.

(12) الرسول القائد ــمصدر سابق ص (201 239).

(13) الرسول القائد -مصدر سابق ص (243 247).
(14) الآية الكريمة من سورة النساء (4: 37).
(15) وادي القرى: موضع جنوبي خيبر، بين المدينة المنورة وخيبر.
(16) الرسول القائد -مصدر سابق ص (153 155).
(17) الرسول القائد -مصدر سابق ص (205 209).
(18) الرسول القائد -مصدر سابق ص (244 247).
(19) حسن حبنكة الميداني -مكايد يهودية ص (122 143) بيروت 1974.
(20) الرسول القائد -مصدر سابق ص (229).

التّصور الصّهيوني للتفتيت الطّائفي والعرقي

-2-



اللواء الركن: محمود شيت خطاب

محاولات اليهود التخريبية على عهد الخلفاء الراشدين

1 - مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى الطبري(21) وابن الأثير(22) وغيرهما(23)، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج يوماً بعد عوده من حجّه يطوف بالسوق، فلقيه أبو لؤلؤة، فقال له: "يا أمير المؤمنين! أعدني على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً". قال عمر: "وكم خراجك؟". قال: "درهمان في كل يوم". قال عمر: "وما صناعتك؟" قال: "نجار، نقاش، حداد". فقال عمر: "فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال. قد بلغني أنك تقول: "لو أردت أن أعمل رحىً تطحن بالريح فعلت" قال: "نعم". قال عمر: "فاعمل لي رحى"

قال: "لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب!". ثم انصرف عنه، فقال عمر: "لقد توعدني العبد آنفاً!".

ودخل عمر منزله، فلما كان من الغد، جاءه كعب الأحبار فقال له: "يا أمير المؤمنين! اعهدْ فإنك ميت في ثلاثة أيام"، وكان كعب هذا من كبار أحبار اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يتردد عليه مظهراً الميل إلى الإسلام، مرجئاً إعلان إسلامه حتى يتحقق من كل الأمارات التي يجدها في كتب قومه عن النبي العربي وأصحابه، فلما انتهى أمر الخلافة إلى عثمان رضي الله عنه، أعلن إسلامه. وعجب عمر لنذير كعب، فسأله: "وما يدريك؟"، قال: "أجده في كتاب الله عز وجل، التوراة". ودهش عمر لهذا الكلام، فقال: "الله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟!"، قال كعب: "لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك". وإذ كان عمر لا يحس وجعاً ولا ألما، فقد زادت دهشته لهذا الحديث، ولم يعره عناية خاصة.

فلما كان من الغد، جاءه كعب فقال: "يا أمير المؤمنين! ذهب يوم وبقي يومان"، وفي الغداة من ذلك اليوم قال له: "ذهب يومان، وبقي يوم وليلة، وهي لك إلى صبيحتها". وفي فجر الغد طعن أبو لؤلؤة عمر طعناته المميتة، فلما دخل الناس على أمير المؤمنين، ودخل كعب معهم ورآه عمر قال:

فأوعدني كعب ثلاثاً أعدُها وما بي حذار الموت، إني لميت(24)

وقد ساق سير وليام ميور قصة كعب هذه في كتابه "الخلافة الأولى" وأردفها بقوله "يتعذر علينا أن نعرف كيف نشأت هذه القصة العجيبة. وربما أنذر كعب عمر حين رأى ما بدا على أبي لؤلؤة من مظهر التحدي والوعيد". والذي نستطيع أن نستخلصه من حديث أبي لؤلؤة مع عمر، ومن قصة كعب، أن الفارسي توعد أمير المؤمنين، وأن اليهودي عين الموعد قبل حدوثه بثلاثة أيام، وما أخال أحداً يظن أن الكتب السماوية، تعين الأحداث التي تقع للناس بمثل هذه الدقة، فهذه الكتب كلها ترجع علم الغيب إلى الله وحده. لابد إذاً أن يكون كعب عرف سر ما كان يجري، فوجه النذير إلى عمر وأغفل عمر أمر هذا النذير بعد أن توعده أبو لؤلؤة بما توعده به، فحدث ما حدث. ونذير كعب وطعنات أبي لؤلؤة تدل على أن في الأمر سراً لم يظهر ساعة ارتكاب الجريمة، لكنه ظهر من بعد(25) وكان أبناء عمر أشد الناس حرصاً على معرفة الحقيقة، وقد كانوا يستطيعون كشفها والوقوف على جلية أمرها لو أن فيروز أبا لؤلؤة لم ينتحر، لكنه انتحر، فذهب بسره إلى القبر معه، وانكشف السر فيما بعد، فقد رأى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه السكين التي قتل بها عمر فقال: »رأيت هذه أمس مع الهرمزان وجفينة، فقلت ما تصنعان بهذه السكين؟ فقالا: نقطع بها اللحم، فإنا لانمس اللحم". ورأى السكين أيضا معهما عبد الرحمن بن أبي بكر، فلم يبق إذاً في الأمر ريبة فهذان شاهدا عدل بل هما من أعدل شهود المسلمين، يشهدان بأن الهرمزان وجفينة

كان معهما السكين الذي قتل بها عمر ويشهد أحدهما أن أبا لؤلؤة كان يأتمر قبل القتل معهما، فلاشك أن عمر ذهب ضحية مؤامرة كان هؤلاء الثلاثة أبطالها، وكان كعب على علم بالمؤامرة(26).

لقد كان اغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مؤامرة يهودية، مجوسية، ما في ذلك من شك.

2 - مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، تناقل الناس أنباء بوادر شغب ظهرت في الكوفة، وبوادر إخلال في الأمن في البصرة.

أما ما ظهر منها في الكوفة، فبوادر فتنة سياسية، تنكر فضل قريش، التي كان زمام الحكم في أيديها يومئذ، فبادر إلى معالجتها ولاة عثمان: سعيد بن العاص والي الكوفة، ثم معاوية بن أبي سفيان والي الشام، بحكمة وسياسة، حتى خفت صوتها وكمنت على غش ودخن.

وأما ما ظهر منها في البصرة، فأعمال عدوانية مخلة بالأمن، تولى كِبْرَها رجل من بني عبد القيس، أخذ يغير على أرض فارس، ويفسد في الأرض، ومعه عصابة من المفسدين، فشكاه أهل الذِمّة(27) وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى والي البصرة عبد الله بن عامر(28): أن احبسه ومَن كان مثله في البصرة، ولا تأذن لهم بالخروج، فهدأ عدوان هذا الرجل وعدوان جماعته. وسمع يهود اليمن بهذه الأنباء، فأسرع رجل يهودي اسمه: عبد الله بن سبأ(29)، واشتهر بابن السوداء، وسافر من اليمن، وقدم البصرة متظاهراً بالإسلام، واختار أن ينزل عند زعيم عصابة العدوان، وصار يجتمع بعناصر الفساد والفتنة والحقد الذين يتوافدون عليه، فيبث فيهم أفكاراً غامضة يتلاعب فيها بعقائد الناس.

والتف حول هذا اليهودي لفيف من الفاسدين والحاقدين، وأسسوا فرقة سياسية سرية مغلفة بقناع ديني، وصار يأمر أفراده بالطعن في الأمراء، فبلغ أمره والي البصرة، فاستدعاه وسأله: "من أنت؟"، قال: "رجل من أهل الكتاب، رغب في الإسلام وفي جوارك". فقال له: "ما هذا الذي يبلغني عنك؟ اخرج عني". وخرج ابن سبأ من البصرة إلى الكوفة، وهي مركز الفتنة الثاني، فأفسد جماعة فيها، فعلم به والي الكوفة، فأخرجه منها، فرحل إلى مصر حيث استقر فيها. وجعل يكاتب من أفسدهم في البصرة والكوفة ويكاتبونه، حتى تفاقمت دعوتهم ثم أخذ في مصر يبث دعوته بين العرب الذين قدموا مصر منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده، ويحرك فيهم روح الفتنة والشر والتمرد، ويثير الناس على عثمان وعلى ولاته، ويختلق عليهم الأكاذيب والافتراءات، ويدس الدسائس، ويوقد النار من وراء حجب، فانخدع به بعض السذج من المسلمين.

وما زال ينشط هو وجماعته ضد عثمان وولاته، حتى أوسعوا الأرض إذاعة، وكانوا يكتبون الكتب التي تنسب إليهم العيوب الكثيرة وتدس عليهم الدسائس، ويرسلونها إلى

وجوه الناس في الأنصار، إعداداً للفتنة الكبرى المدبرة في رأس ابن سبأ، حتى بلغ أهل المدينة طائفة من رسائلهم، فجاؤوا إلى عثمان يسألونه: هل أتاه من الأمصار مثلما أتاهم؟ فقال لهم: "والله ما جاءني إلا السلامة"، فأخبروه الخبر، فقال لهم: "أنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي" فأشاروا عليه أن يرسل أشخاصاً ممن يثق فيهم إلى الأمصار، ليخبروا أهلها بأنهم لم ينكروا شيئاً من عثمان، لا أعلامهم ولا عوامهم، ففعل ذلك عثمان، ثم كتب إلى أهل الأمصار كتاباً عاماً يذكر فيه ما بلغه من الإذاعات والطعن على الأمراء، وأنه مستعد لسماع كل شكوى وإنصاف صاحبها، وإعطاء كل ذي حق حقه، ويدعو من له شكوى لموافاته في موسم الحج، ثم اتخذ تدابير أخرى علم منها أن ما بلغه على عماله محض اختلاق ودسائس تبث سراً. وكان من مكر السبئيين أنهم ابتدعوا فكرة إرسال الكتب المزورة إلى من يريدون تحريضه على عثمان وولاته، بأسماء طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الكتب المزورة باسم الخليفة نفسه(30).

وانتهت دسائس هذا اليهودي وزمرته إلى إشعال فتنة كبرى، وانطلقت جذواتها الثلاث من البصرة والكوفة ومصر وهي الأمصار الثلاثة التي أقام فيها هذا اليهودي ودس فيها دسائسه وفتنه. ثم تحولت الفتنة السبئية إلى ثورة مسلحة على عثمان. وفي السنة الخامسة والثلاثين للهجرة "655م" وصلت الحركة السبئية ذروتها واستكملت عناصرها، فتكاتب السبئيون في مصر والكوفة والبصرة، وتواعدوا على أن تخرج كتائب ثورتهم إلى المدينة، ويعسكروا خارجها، فقدموا إليها كما تواعدوا، وعسكروا خارج المدينة معلنين ثورتهم على الخليفة عثمان(31).

وانتهت هذه المؤامرة بمقتل عثمان كما هو معروف(32).

3 - مكائدهم في عهد علي رضي الله عنه

ظلّت روح التمرّد وعوامل الفتنة التي أشعلها ابن سبأ، تعتمل في نفوس الذين ثاروا على الخليفة الثالث عثمان بن عفّان رضي الله عنه. ولمّا تولّى الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب الخلافة: أطاعه هؤلاء، ولكن روح الشّغب كانت متغلغلة في أعماقهم، فكانت طاعتهم مظهريةً، بينما يبثّون سمومهم في صفوف الجند، في وقت كانوا في أمسّ الحاجة إلى الضبط والطاعة والثقة الكاملة بالخليفة، والتفاني في خدمة أهداف الإسلام والمسلمين.

وأخذ ابن سبأ يبث في السرّ دون علم الخليفة رضي الله عنه، دعوى نبوّة علي، ثم أسرع فارتقى بدسيسته مرة أخرى ونقلها إلى طور جديد، فصار يبثّ بين المنخدعين به ألوهيّة علي رضي الله عنه، ونقل فكرة حلول الإله بالأشخاص، ودسّها بين الجاهلين من أهل الكوفة، فغلوا في علي غلوّاً فاحشاً، مما لا يرضاه علي رضي الله عنه ولا المسلمون. وتحوّلت دسائسه من همسات في السرّ، إلى أقوال صريحة، جعل يردّدها المتأثرون به من الغلاة، فرفع أمرهم إلى الخليفة، فوجدهم يُغالون به كما بلغه، وبحث علي رضي الله عنه

عن صاحب الضلالة، وباعث فتنة الزّيغ، فعلم أنه ابن سبأ، فجمعهم ووعظهم ونهاهم ودعاهم إلى الإسلام، وجادلهم بالتي هي أحسن، فلم يرتدعوا، لأنّ وساوس ابن سبأ كانت قد أثرت فيهم تأثيراً بالغاً، فقرّر الخليفة أن ينكّل بهم أشد تنكيل، لردّتهم عن الإسلام بمقالتهم الشنعاء، فجمع فريقاً منهم، وحرقهم بالنار إمعاناً في التنكيل بهم، ومن غريب ما يروى، أنّهم عندما أحسّوا بلذع النار قالوا: الآن قام الدليل على صدق إلهيته، لأنّ النار لايعذّب بها إلا الله.

وهمّ الخليفة علي رضي الله عنه، أن يقتل ابن سبأ، ولكنّ ابن عباس أشار عليه بعدم قتله. ولعلّه لم يجاهر بمقالته أمام علي، وكان يبثّها سراً في أتباعه، أو لعلّه تظاهر بالتوبة ليواصل دسائسه ومكايده، فنفاه إلى ساباط المدائن (مدينة شرقي بغداد وقريبة منها).

وظلّ يبثّ ضلالته سراً، فلما قُتل علي رضي الله عنه، أخذ ابن سبأ يبثّ في الذين تأثروا بضلالته أنّ علياً رضي الله عنه لم يُقتل، بل رُفع إلى السماء، كما رُفع إليها عيسى عليه السّلام، وأنّه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه، وأنّ الذي قُتل شيطان تمثّل في صورته. وصار يوسوس لهم، أنّ علياً يجري في السحاب، وأنّ الرعد صوته، وأنّ البرق تبسُّمه(33).

ولم يكن الدافع لابن سبأ، إلى كلّ هذه الدسائس والفتن، إلاّ عداوة للإسلام، ومكره بالمسلمين، وحقده عليهم، واندفاعه في تنفيذ حلقة من سلسلة مكائد يهود على الإسلام، بل على الأديان كلّها وعلى جميع أمم الأرض، إلاّ اليهودية وبني إسرائيل.

وإذا قلنا: إنّ روح التمرّد في الخوراج، قد كانت بسبب مكائد ابن سبأ ودسائسه، كان لنا أن نقول: إنّ مقتل علي رضي الله عنه، قد كان أثراً من آثار هذه الدسائس أيضاً، ومن الجهل بمكان استصغار مقدمات الشر، واحتقار أوائل الفتن، فمعظم أحداث التاريخ الكبرى التي تحول فيها تاريخ الأمم، قد بدأت بنواة صغيرة لم يلق لها الناس بالاً في أول الأمر، ثم نمت فكانت شجرة كبرى ذات جذور متغلغلة، وفروع ممتدة، وآثار عظيمة(34).

وهكذا، فمن الواضح، أنّ هدف الاغتيالات، وإشاعة الفوضى، والإخلال بالضبط والنظام، هي إضعاف القوة الضاربة للمسلمين، التي كانت سيوفها على أعدائها، فأصبحت سيوفها على رجالها، وأصبح المسلمون متفرقين، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى: معركة الجمل، ومعركة صفّين، ومعارك الخوارج، فضعف حكم المسلمين في الأصقاع، وتنافست القوات المتقاتلة على الأمصار، حتى طمع قسطنطين بن هرقل باستعادة ما فتحه المسلمون من أرض الشام ومصر وشمالي أفريقية، فسار سنة خمس وثلاثين الهجرية (655م) في ألف مركب يريد أرض المسلمين(35)، ولكنّ الله سلّم.

وهكذا أصبح القوي ضعيفاً، والإخوة أعداء، والوحدة تفرقة، والصفوف شتّى، وتوقف الفتح من سنة ثلاث وثلاثين الهجرية (653م) وهي السنة التي ظهرت فيها اضطرابات ابن سبأ للعيان.

يهودُ هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا

العزُّ فيهم، والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر قد نصحتُ لكم تهوّدوا، قد تهوّد الفلك(46)

ج ـ وكما حصل في مصر، حصل في الأندلس، حينما بدأ الحكم العربي الإسلامي فيها ينحدر، إذ أخذ اليهود يتسللون إلى مراكز القوّة في الأندلس، عن طريق التجارة والصيرفة والربا، وتجارة الخمور والرقيق والجواري، ووسائلهم الأخرى المعروفة التي يفسدون بها أخلاق الأمة، ويهدمون بها قوتها، ويفرقون صفوفها. وفي ظل هذا الوضع المنهار، استطاع يهوديّ يقال له: (ابن نغرالة) أن يحتل كرسي الوزارة، لأحد ملوك الطوائف البربر في غرناطة، وهو: باديس بن حبوس بن ماكسن (428 465هـ) (1037 1073م).

وكان لأبي العباس كاتب حبوس والدباديس، مساعد من يهود يدعى: أبا إبراهيم يوسف بن إسماعيل بن نغرالة، فلما توفي أبو العباس، تقدم مكانه اليهودي ابن نغرالة. ودبّر ابن عم باديس مؤامرة لانتزاع السلطة من باديس، فلجأ إلى ابن نغرالة، وحاول ومن معه ضمّه إليه، فتظاهر اليهودي بالقبول، وأخطر مولاه باديس، ودبر اجتماع المتآمرين في داره، وحضر باديس ليسمع بنفسه مشاوراتهم من مكان معيّن، ومن ذلك الوقت غدا اليهودي أثيراً عند باديس، وصار ناصحه الأول، لايبرم أمراً دون رأيه.

وفرّ المتآمرون، وتفرقت عائلة باديس، وأصبحوا أعداء(47).

وأشعل اليهودي الحرب بين ابن باديس وزهير العامري صاحب المريّة، فدارت معركة بين الجانبين في منطقة قرية الفنت(48)، انتصر فيها باديس، وقتل زهير في المعركة، وخسر الطرفان كثيراً من الشهداء!.

وقاتل باديس جند إشبيلية، فانتصر ابن باديس على بني عباد(49).

وكان باديس قد قطع إلى ذلك الحين ثلاثين عاماً في الحكم، قاتل فيها في عشرات المعارك الداخلية والخارجية، وكان شاخ وأخلد إلى الراحة، بعد أن أنهكته الفتن والحروب، فترك مقاليد الحكم كلها لوزيره يوسف بن نغرالة(50)، وكان يوسف قد حلّ في المنصب مكان أبيه إسماعيل بن نغرالة وزير حبوس، ثم ابنه باديس، وكان هذا الوزير اليهودي قد استأثر بعطف باديس وثقته، فرفعه فوق سائر كتّابه ووزرائه، وفوّضه في جميع أموره، وعيّن معظم المتصرفين والعمال من اليهود. واستمر ابن نغرالة على مكانته حتى توفي، فندب باديس ولده يوسف للاضطلاع بمنصبه، وكان يوسف فتى جميلاً، غض الإهاب، فاستعمل

اليهود كذلك على الأعمال، واجتمعت السلطات شيئاً فشيئاً بيد هذا اليهودي، حتى غدا كأبيه من قبل، أول رجل في الدولة، وأمضاهم تصرفا في شؤونها(51).

وكان بُلقين ولد باديس الأكبر الملقب بسيف الدولة، والمرشح من بعده لولاية عهده، ينظر إلى استئثار الوزير اليهودي بزمام الأمور، واستئثار بني جنسه بالتصرف في الأعمال، وسيطرتهم التامة على الدولة: ينظر إلى ذلك كله بعين السخط والحسد، وكان يجاهر ببغضه لابن نغرالة، وسعيه إلى إسقاطه، ويفضي أحياناً إلى خاصته برغبته في إزالته وقتله، وكان يشعر أنه أحق بالأموال التي يتمتع بها اليهود، وأن اليهودي قد أخمله وأخمل سائر رجال الدولة بسيطرته عليها(52).

وكان يوسف من جانبه، يضع عيونه وجواسيسه من خاصة باديس في القصر و في الحريم، فلا يكاد باديس يأتي بحركة أوتصدر كلمة، حتى يقف عليها لفوره، وكان في نفس الوقت يحيط بلقين بعيونه، ويتقصى سائر حركاته وسكناته، ويقف على نياته نحوه، وكان بلقين مع بغضه ليوسف، يلقي له المودة، ويتردد على داره، ويشاطره الشراب، وكان منهمكاً مدمناً. فاعتزم يوسف أن يتخلص من بلقين قبل أن يقضي هو عليه، ودعاه ذات يوم مع خاصته وصحبه، إلى مجلس شراب حافل، ودس له السم في كأسه، فما كاد يغادر مجلسه، حتى ملكه قيء شديد، وما كاد يصل إلى داره، حتى لزم فراشه،ثم توفي بعد يومين، فروع باديس لمهلك ولده،على هذا النحو المفاجئ،واستطاع يوسف إقناعه باتهام بعض فتيان ولده وجواريه وقرابته،فقتل منهم باديس عدة نفر وفرّ الباقون،وكان مصرع بلقين بن باديس في سنة(456 هـ1064م)(53).

وكان هذا الحادث مقدمة لحادث أخطر وأوسع مدى، وهو الذي اتسم به عهد باديس قبل كل شيء، ذلك أن باديس ترك المجال لوزيره يوسف، وزاد بفقد ولده انطواؤه على نفسه، وزاد يوسف بذلك استئثاراً وسيطرة على الدولة، وبسط على غرناطة وأعمالها نوعاً من الطغيان اليهودي المرهق، استسلم سائر الوزراء والشيوخ إلى هذا السلطان. ولم يكن يناوئ يوسف ويحاول مقاومته سوى: "الناية"، وهو شخصية غامضة، وأصله من عبيد المعتضد بن عباد، وكان متهماً في المؤامرة التي دبرها ضده ولده إسماعيل، ففرّ من إشبيلية، والتجأ إلى باديس وخدمه وحظي عنده، وعهد إليه ببعض المهام الخطيرة، ثم وقع التنافس بينه وبين يوسف، وكان النابة يحرّض على قتله، ويفضي إلى الأمير بذلك كلما سمحت الفرص. وشعر يوسف بتغيّر الأمير عليه، وبأن منزلته أخذت بالضعف، ففكرّ في التفاهم مع أبي يحيى بن صادح صاحب المرية، واستدعائه للاستيلاء على غرناطة. وكانت تربط ابن صادح وباديس علائق مودة قديمة، إذ كان باديس قد وقف إلى جانبه حين أراد ابن أبي عامر محاربته واسترداد المرية منه، ومهد يوسف لمشروعه بأن عمل على تعيين زعماء صنهاجة، الذين يخشى بأسهم، في الأعمال البعيدة، واستطاع ابن صادح أن ينتزع

فعلاً وادي آش، الواقعة شمال شرق غرناطة وأن يشحنها برجاله، ومضى يوسف في مفاوضته، وهو محجم متهيّب من تنفيذ المشروع. كل ذلك وباديس غارق في لهوه منكب على لذاته(54)، وخصوم يوسف في صنهاجة، و سائر أهل غرناطة يضطرمون سخطاً على الطاغية اليهودي ويترقبون الفرصة لإسقاطه. ولقي سخط الشعب الغرناطي على اليهود في تلك الآونة متنفسه في الشعر، ونظم الفقيه الورع الزاهد أبو إسحق الألبيري(55) قصيدته الشهيرة في التحريض على سحق اليهود والتخلص من طغيانهم، وإليك بعض ما ورد في تلك القصيدة التي ذاعت يومئذ ذيوع النار في الهشيم، وألهبت مشاعر الشعب الغرناطي، وكانت كالشرارة التي أضرمت الحريق، وأثارت الانفجار:

ألا قل لصنهاجة أجمعين	بُدور الزّمان وأسد العرين
لقد زلّ سيّدكم زلّة	تقرّ بها أعيُن الشّامتين
تخيّر كاتبَه كافراً	ولو شاءَ كان من المؤمنين
فعزّ اليهود به وانتخوا	وتاهوا، وكانوا من الأرذلين
ونالوا مُناهمْ وحازوا المدى	وقد جاز ذاك وما يشعرون

ومنها:

أباديسُ أنت امرؤٌ حاذقٌ	تصيب بظنك مرمى اليقين
فكيف تحبَ فراخ الزّنا	وقد بغضوكَ إلى العالمين
وكيف استنمتَ إلى فاسق	وقارنته، وهو بئس القرين
وقد أنزلَ اللهُ في وحيه	يُحذّر من صحبة الفاسقين
فلا تتّخذ منهمُ خادماً	وذَرْهُمْ إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجّت الأرض من فسقهم	وكادت تميد بنا أجمعين
وكيف انفردتَ بتقريبهم	وهم في البلاد من المُبْعَدين
وأنّى احتللتَ بغرناطة	فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها	فمنهم بكلّ مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها	وهم يخصمون وهم يقصمون
وهم يلبسون رفيع الكسا	وأنتم لأوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سركم	وكيف يكون أميناً خؤون
وقد لابسوكم بأسحارهم	فما تسمعون ولا تُبصرون

* * *

ومنها في التحريض على ابن نغرالة وقومه:

فبادر إلى ذبحه قُرْبَة	وضَحّ به فهو كبش سَمين

ولا ترفع الضغط عن رهطه	فقد كنزوا كل علق(56) ثمين
وفرّقْ غَراهم(57) وخذ مالهم	فأنتم أحقّ بما يجمعون
ولا تحسبن قتلهم غدرةً	بل الغدر في تركهم يعبثون
فقد نكثوا عهدنا عندهم	فكيف تُلامُ على الناكثين؟!
فلا ترْضَ فينا بأفعالهم	فأنتَ رهينٌ بما يفعلون
فراقبْ إلهك في حزبه	فحزبُ الإله هم المفلحون(58)

ووقع الانفجار في مساء يوم السبت العاشر من شهر صفر سنة (459 هـ -30 من كانون الأول "ديسمبر" 1066م)، ففي تلك الليلة اجتمع يوسف بن نغرالة بالقصبة على الشراب مع طائفة من صحبه الضالعين معه من عبيد باديس وخاصته. والظاهر أنّ مشروعه لاستدعاء ابن صمادح إلى غرناطة كان قد نضج، وأن ابن صمادح كان يكمن مع نفر من صحبه في مكان قريب من المدينة ينتظر النذير لاستدعائه، وكان ثمة في نفس الوقت جماعة من صنهاجة، ممن يرتابون في مشاريع يوسف ونياته، وينقمون على أميرهم تهاونه وتخاذله، ويرقبون حركات اليهودي وسكناته. فحدث والمتآمرون في مجلسهم، أن وقعت مشادة بين عبد من الحضور، وبين حاشية اليهودي، فانطلق العبد إلى خارج القصبة وهو يصيح: لقد غدر اليهودي، ودخل ابن صمادح البلدة. وفي الحال، هرع الناس وهم يتصايحون، وفي مقدمتهم رهط صنهاجة المناوئون لليهودي، واقتحم القصبة فاستغاث يوسف لفوره بباديس، وحاول الأمير عبثا أن يهدئ المهاجمين، فهرب يوسف إلى داخل القصر ومن ورائه مطاردوه، حتى عثروا به في بعض مخازن الفحم، وقد تنكر وقد صبغ وجهه بالسواد، فعرفوه وقتلوه، وأخذوه وصلبوه على باب غرناطة، وكان الجند والمدينة بأسرها قد ماجت عندئذ، وتخاطف الناس السلاح ونهبوا دار يوسف وكانت غاصّة بالنفائس والذخائر ووجدت له فيما وجد خزانة جليلة من الكتب، أما ابن صمادح فقد عاد أدراجه بخفي حنين، بعد أن انهار مشروعه(59).

إنّ اليهود الذين عملوا بالسياسة، اتسموا بطابع الجشع في جمع الأموال واكتنازها والتفرقة بين الحاكم وبين ذوي قرباه، وبينه وبين بني شعبه، والعمل على إثارة الحروب لإضعاف المسلمين المتحاربين من الجانبين، والإقدام على اغتيال من يناصبهم العداء أو إبعاده عن النشاط السياسي والاجتماعي على الأقل وإلقاء تبعة الاغتيالات على غيره لتفريق الصفوف وتفتيت صفوف الشعب للتفرقة بينهم ومحاولة جمع السلطة بأيديهم بشتى الوسائل والأساليب غير الشريفة والتعامل مع الطامعين لاحتلال البلاد للتآمر معهم وتحريضهم على احتلال البلاد، طمعاً في الإبقاء على سلطتهم تحت ظل الحكم الجديد. إنهم كالقنبلة الموقوتة التي لا يعرف غيرهم بموعد انفجارها.

3 ـ مكيدة استخدام النساء للتأثير في الذين يريدون السيطرة عليه:

أ - ومن وسائل اليهود السياسيين استخدام النساء للوصول إلى صاحب السلطان، في البلاد التي يعيشون فيها. وعندئذ يسعون إلى تقطيع أوصال تلك البلاد وإفساد الثقة بين المسؤول وأعوانه، حتى يقع الجميع فريسة لهم، لأن الثقة المتبادلة إذا قلت كثر تدبير المكائد، وأصبح الأصدقاء مظهراً أعداء مخبراً.

وعندئذ يحاول يهود أن ينقلوا إلى من يريدون الظفر به وبسط نفوذهم عن طريقه، الأخبار التي توغر صدره على من صوروه له أنه خصمه ومنافسه وتملأ قلبه حنقاً وضغينة عليه حتى يبطش به وبأنصاره، فيخلو لهم الجو. ومن الأمثلة على ذلك، بعض القصص التي ترددها أسفارهم المعتبرة عندهم ضمن الكتب المقدسة، ومنها سفر "أستير" وسفر "يهوديت".

ب - ويحتوي سفر أستير، على قصة امرأة يهودية جميلة اسمها: أستير، رآها يهود وسيلة مناسبة يصلون بها إلى السلطان في بلاد فارس، فعملوا بوسائلهم حتى أدنوها من ملك الفرس، فاستحسنها وتزوجها. ولمّا أصبحت زوجة الملك استطاعت أن تملك قلبه بفتنتها ودهائها، وبذلك استطاعت أن تؤثر فيه، وأن تجعل لابن عمها مردخاي حظوة عنده. ولمّا بلغ مردخاي مكان الحظوة عند الملك، أخذ يعمل بكل ما أوتي من حيلة ودهاء كي يبسط نفوذ يهود في فارس، ويمكّن لهم في بلاد الفرس، وعلا شأن يهود في بلاد فارس، وتنبّه إلى خطرهم وزير الملك : "هامان"، فأراد أن يكبح جماحهم، لكنّ اليهودي مردخاي لم يعبأ بالوزير الفارسي لأنّ ملكة القصر ابنة عمه، وسلطانها على الملك نافذ. وأخذ هامان يدبّر خطة لقتل اليهودي مردخاي والقضاء على نفوذ يهود فارس، فأوصلت العيون أنباء الخطة إلى مردخاي، فتركها تسير على منهجها المرسوم، دون أن يعمل على إحباطها قبل الأوان. وفي هذه الأثناء، كان مردخاي يشعر الوزير هامان بعدم علمه بما يجري ضده وينقل هو وابنة عمه إلى الملك ما يدبره هامان ويصوران المكيدة أنها ضدّ الملك نفسه، وأنّ هامان يريد قتله وسلب عرشه منه. وإمعاناً في المكر، فقد استطاع مردخاي أن يرتّب الأمور مع الملك ترتيباً دقيقاً، ويأخذوا الحيطة الكاملة، حتى كان اليوم الذي قرّر فيه الوزير هامان أن يقتل مردخاي شنقاً وينكّل بأنصاره من يهود فارس فخرج جنود الملك وأنصار مردخاي يحملون الأمر الملكي بقتل هامان وأنصاره، فقبضوا عليه وشنقوه بالمشنقة التي أعدها لمردخاي، وأسرع يهود في ظل هذا الجو المتوتر يقتلون أتباع هامان من الفرس، حتى بلغ من قتلهم اليهود منهم خمسة وسبعين ألفاً، وكان ذلك في اليوم الثالث عشر من شهر آذار "مارس" ولذلك صار اليوم التالي وهو اليوم الرابع عشر من آذار عيداً من أعياد يهود حتى اليوم(60).

ج وينحو سفر: "يهوديت" نحو سفر أستير، في عرض قصة أخرى مشابهة لها، وهما جميعاً تعلمان اليهود بما يجب عليهم أن يعملوه في كل بلد ينزلون فيه، حتى يظفروا

بالسلطة السياسية ويبسطوا نفوذهم على البلاد، مع التأكيد على اتخاذ عنصر النساء ضمن وسائلهم الكبرى التي يصلون بها إلى التحكم بذوي السلطة، كما يعطون دروساً بالمكر والمخادعة ونشر أخبث صور الفساد، واستعمال أشدّ أنواع العنف عند الظفر بمن يعارض خططهم الرامية إلى افتراس ما يريدون من مال أو سلطان.

وقد سار يهود عبر تاريخهم في تطبيق هذه التعاليم نصّاً وروحاً وزادوا عليها من مبتكراتهم ما يفوق الحصر، وكووا بنارها كلّ الأمم والشعوب، حتى غدا تاريخ كل أمة وكل شعب مشحوناً بمآسي جرائمهم وبقصص مكرهم(61).

وحين كنت في فلسطين مع الجيش العراقي سنة 1948، فُرضت الهدنة من قبل الأمم المتحدة بين العرب والعدو الصهيوني وحجز بين الجانبين ضباط من هولندا وبلجيكا وفرنسا، وكان هؤلاء الضباط ممثلو الهدنة على اتصال بالجانبين، فكانوا يتحدثون عن نشاط العدو الصهيوني في الترفيه عنهم جنسياً ومادياً ومعنوياً، على حين لا يجدون في الجانب العربي غير النوم في الخيام، وتناول أبسط الطعام في مطاعم الضباط العرب، وكان العدو الصهيوني بوسائله في الترفيه عن ممثلي الهدنة يكسبهم إلى جانبه حتماً، فسخّر بعضهم ليكونوا له عيوناً وجواسيس على العرب، مما جعل الضباط العرب في حذر شديد للغاية في لقاء ممثلي الهدنة الأجانب الذين يتنقلون بين الجانبين باستمرار.

إنّ تطبيق قصة أستير عملياً، يعتبر أسلوباً مشروعاً لدى اليهود وإلا ما تحدثت عنهم أسفارهم الدينية المعتمدة في التوراة والتلمود، فليكن ذلك نصب أعين العرب، دون أن يغتروا بالأماني والأوهام.

4 ـ مع الجمعيات السرّية

أ ـ زعم يهود أنّهم شعب الله المختار، وفضل الله منحصر فيهم، فلم يقبلوا بسبب أنانيتهم وحدهم اصطفاء الله لعيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل عليه السلام، نبياً ورسولاً كما لم يقبلوا اصطفاء الله لمحمد بن عبد الله فخر العرب وخاتم الأنبياء ورسول الله للناس جميعاً عليه الصلاة والسلام. كما لم يستطيعوا أن يجعلوا من يهود كثرة كاثرة وقوّة قاهرة، فلجؤوا إلى سبل الحيلة والمكر سعياً لما تصبو إليه أحلامهم من بسط نفوذهم في الأرض، ومدّ سلطانهم، فوضعوا نصب أعينهم هدفين رئيسين، كي يستطيعوا بقلّتهم القليلة تحقيق هذين الهدفين، الظفر بالكثرة الكاثرة من الأمم من دونهم:

الهدف الأول: تجزئة أمم الأرض، وإغراء بعضها ببعض، وإثارة الحروب فيما بينها، وإيقاد الفتن داخل شعوبها، بتفتيت تلك الشعوب طائفياً وعرقياً.

والهدف الثاني: إفساد عقائد الأمم وإفساد مفاهيمها وأخلاقها ونظمها، وإبعادها عن أديانها، حتى تفقد هذه الأمم عوامل قوّتها ومجدها وتماسكها والانسجام الفكري بين أفرادها وجماعاتها.

ومن حيلهم التي اتخذوها لتجزئة الأمم وإفسادها، تأسيس الجمعيات السرّية، والجمعيات ذات الأهداف السريّة. ولعل من أهم هذه الجمعيات، هي الجمعية الماسونية، بمختلف أسمائها وانتماءاتها.

وأهم المحافل الماسونية بأسمائها المختلفة: أبناء العهد (بناي بريث)، أسس رسمياً في 13 من تشرين الأول 1834 في مدينة نيويورك.

والاتحاد اليهودي العالمي (الياانس إسرانيليت أو نيفرسل) أسس في فرنسا سنة 1860.

ومحفل لاينير أنتر ناشينال، مركزه في أمريكا، ويتبع محفل (بناي بريث) وهو يضم جمعية مكافحة التشهير ضدّ يهود. فمحفل الروتاري، وقد أسسها عام 1905 المحامي بول هاريس في شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو منتشر بمصر، وله ناد في القاهرة وآخر في الإسكندرية(62). والجمعيات الماسونية جمعيات يهودية تعمل لخدمة أهداف اليهود، وفي الفقرات التالية من بروتوكولات حكماء صهيون السريّة، دليل على هذه الحقائق، فقد جاء فيها قولهم:

"وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة. وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية. وسوف نركّز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا، وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون كي نحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة. وستكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم، وفي رسم نظام اليوم. وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصائد لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية، وإنّ جميع الخطط السياسية السرية معروفة لدينا، وكل الوكلاء في البوليس الدولي السرّي تقريباً سيكونون أعضاء في هذه الخلايا، ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا، لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتهم، وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف، وأن يعاقبوا أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا، ومعظم الناس الذين يدخلون في الجمعيات مغامرون، يرغبون أن يشقوا طريقهم في الحياة بأي كيفية، دون جدّ أو عناء، وبمثل هؤلاء الناس سيكون يسيراً علينا أن نتابع أغراضنا، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا إلى الحركة".

وجاء في البروتوكولات أيضاً قولهم:

"ومن الطبيعي أننا كنّا الشعب الوحيد الذي يوجّه المشروعات الماسونية، ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجّهها، ونعرف الهدف الأخير لكل عمل، على حين أن الأميين (أي: غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية، ولا يستطيعون رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون. والأميون يكثرون من التردّد على الخلايا الماسونية عن فضول

محض، أو على أمل نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التي تجري فيها، وبعضهم يغشاها أيضاً لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل. الأميون يبحثون عن عواطف النجاح، وتهليلات الاستحسان، ونحن نوزعها جزافاً بلا تحفظ، ولذا نتركهم يظفرون بنجاحهم، لكي نوجّه لخدمتنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور، ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية، وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة، بإثارة غروره وإعجابه بشخصه، وكيف يسهل من ناحية أخرى تثبيط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له، وبذلك ندفعه إلى خضوع ذليل".

وجاء في البروتوكول الرابع قولهم:

"مَن ذا، وماذا، يستطيع أن يخلع قوة خفيَة عن عرشها؟ هذا ما عليه حكومتنا الآن. إنّ المحفل الماسوني المنتشر في كلّ أنحاء العالم، ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً".

وجاء في البروتوكول الحادي عشر قولهم:

"إنّ الأميين (أي: غير اليهود) كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء. أي سبب أغرانا بابتداع سياستنا، وبتلقين الأميين إياها؟ لقد أوحينا إلى الأميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الحقيقي، وماذا حفزنا وحملنا على هذا الطريق للعمل إلا عجزنا، ونحن جنس مشتت، عن الوصول إلى أغراضنا بالطرق المستقيمة، بل بالمراوغة فحسب؟ هذا هو السبب الصحيح وهو الأصل في تنظيماتنا التي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأميين، ولذلك لا يرتابون في مقاصدنا. لقد أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئاً أكثر من ماسونية، في عيون رفقائهم".

وأبلغ دليل على علاقة الماسونية بالصهيونية العالمية وإعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، تلك الرسالة التي وجّهها ماسونيان أمريكيان، هما: غرايدي تبري وأودي مورفي إلى السيد روحي الخطيب أمين القدس، والتي جاء فيها: "أنا وزميلي أودي مورفي، عضوان في المحفل الماسوني: قديمان، وحرّان، ومعترف بنا ماسونياً، وأنتم تدركون أنّ هيكل سليمان، كان المحفل الماسوني الأصلي، والملك سليمان كان رئيس هذا المحفل، ولكنّ المحفل دُمّر عام (70) بعد المسيح. إنني أقيم في المكان ذاته إلى جانب الصخرة التي قدّم عليها أبونا إبراهيم ابنه إسحق قرباناً للربّ... وإنني كمسيحي وعضو في الحركة الماسونية، أرأس جماعة في أمريكا يحبّون أن يعيدوا بناء هيكل سليمان من جديد، هذا هو اقتراحنا. إذا أعطى جامع عمر الأذن لمؤسستي فسوف نجمع (200) مليون دولار

في أمريكا لهذه الغاية، أو المبلغ اللازم لإعادة بناء الهيكل... وعندما ينتهي بناء الهيكل، سيكرّس للرب، للملك سليمان والحركة الماسونية في العالم... الخ)، وقد ورد نصّ الرسالة في النشرة الدورية التي تصدرها في عمان اللجنة الملكية لشؤون القدس، والتي تحمل الرقم (67) تاريخ 1979/10/1.

ويبدو أن توقيت إحراق المسجد الأقصى جاء وليد ذكرى دينية تاريخية عند اليهود، فالتاريخ يفيد أن شهر آب (أغسطس)، يعتبر عند اليهود الشهر الحزين المهين الذي أقدم تيتوس خلاله على هدم الهيكل الثاني، وقد قطعت الحاخامية اليهودية بلسان حاخامها الأكبر في إسرائيل عهداً على نفسها بأن يكون شهر آب المناسبة الوحيدة التي تنطلق منها إسرائيل لهدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء الهيكل، وفعلاً في شهر آب 1969 أقدم الشاب الأسترالي مايكل دينس روهان الذي كان يعيش في إحدى المستعمرات الاستيطانية اليهودية على جريمة إحراق المسجد الأقصى، وفي محاكمة صورية أطلق سراحه بحجة أنه يعاني من خلل عقلي.

وهذه الواقعة، تعطي دليلاً مادياً على استمرار محاولات اليهود لهدم المسجد الأقصى، كما أنّ رسالة الماسونيين الأمريكيين تكشف عن العلاقة العضوية القائمة منذ البدء ما بين الصهيونية اليهودية والماسونية اليهودية(63).

وهذه بعض شهادات قسم من الشخصيات في الماسونية. قال الدكتور سيف الدين البستاني في كتابه "أوقفوا هذا السرطان" حقيقة الماسونية وأهدافها.. قال:

"الماسونية يهودية شعوبية مغرضة، وكلّ هدف الماسونية تمهيد السبيل لذوبان كل القيم ومحوها قبل انتصار السلطة اليهودية، فبإذا مازالت هذه العقبات تحت ستار العالمية الموجّهة، سيطر زعماء اليهود على اقتصاديات العالم ومؤسساته المختلفة بصورة غير مباشرة، ثم انتقلوا إلى فرض السيطرة المباشرة"(64).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: "عرفت أنّ اليهود، وقد كانوا مضطهدين في أوروبا قبل (400) سنة تقريباً، هم الذين أنشؤوا الماسونية وجعلوا منها جمعية سرّية للدفاع عن مصالحهم"(65).

وقال محمد كرد على رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق: "الجمعية الماسونية ألعوبة صهيونية صرفة لا يهودية فقط، يسعى اليهود بواسطة نفوذها أن يعيدوا مجد صهيون، ومعنى مجد صهيون، نزع فلسطين العربية من أيدي العرب، وهي ملك العرب منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف"(66).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "الماسونية تسهّل عملية بيع الأراضي الفلسطينية لليهود"(67).

فلا مجال للشك مطلقاً بعلاقة الماسونية بالصهيونية العالمية وباليهود في العالم، وحسناً فعل العراق في مكافحة الماسونية وقطع دابرها في البلاد، فهل سرطان بدون شك، يصيب البسطاء وغيرهم من الذين تغريهم الشعارات، ولا يعرفون ماوراءها من أباطيل وضلال بعيد.

ب ـ وقضية محاربة الماسونية للدين، قضية لاتحتمل أي جدال أو مناقشة، لأنها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم العملية، واعترافاتهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوثائق الصادرة عنهم من تصريحات وخطب وكتابات.

ولقد جمّع الباحثون كثيراً من أقوالهم، التي تدينهم بالسعي إلى بثّ الإلحاد بالله ومحاربة الأديان السماوية كلها عدا اليهودية، ومنها بحكم انعزاليتها وصيانة أقطاب الماسونية لها، في منأى عن هذه الحرب، وبذلك تظل العقيدة اليهودية ثابتة في نفوس اليهود، إلا من أراد من اليهود أنفسهم أن يقدموهم ضحايا لتحقيق أهدافهم في محاربة الأديان. وطبيعي أن يتبرأ أعضاء الماسونية الرمزية من ذلك، لأن معظمهم مضللون تسخرهم الأيدي الخفية اليهودية لأهدافها، دون شعور منهم.

فمن أقوال المحفل الماسوني الأكبر سنة 1912: " سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو(الدين)، وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها". فمن الواضح أنهم يقررون في هذا التصريح، إعلان الحرب الشعواء على الدين، ويعتبرونه العدو الحقيقي للبشرية، ومرادهم في ذلك طبعاً جميع الأديان غير اليهودية.

"ويجب ألا ننسى أننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها".

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة 1913 قولهم: "سوف نتخذ الإنسانية غاية من دون الله".

وجاء في مضابط المؤتمر العالمي للماسونية لسنة 1900 قولهم: "إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود".

وفي مجلة: (أكاسيا) الماسونية لسنة 1903 قولهم: »إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة". ومن أقوالهم:"ستحل الماسونية محل الأديان، وإن محافلها ستقوم مقام المعابد".

وجاء في مجلة الشرق الأكبر التركية الماسونية قولهم: "لا يعنينا كفر الملحد أو ثواب المتدين أو وصف الجنة أو النار، وإذا وجد من يحاول العمل في ساحة الدين، فنتركه وشأنه مع الله، وإذا أصر على رأيه، فنرجو منه أن يتركنا، وألا يدخلنا بينه وبين الله".

وفي النشرة الرسمية التي أذاعها محفل الشرق الأعظم في فرنسا في شهر تموز سنة 1856 قولهم: "نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان، لأنه لامناص من ظفرها أو ظفرنا، ولابد من موتها أو موتنا، ولن يرتاح الماسون إلا بعد أن يقفلوا جميع المعابد". وقال كوكفيل في محفل منفيس بلندن: "إننا إذا سمحنا لمسلم أو نصراني الدخول في أحد هياكلنا، فإنما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضاليله ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع بها في شبابه".

وفي المحاضرة الرابعة لمحفل السلام الماسوني قولهم: "إن الماسونية تجرد الأفكار من الخرافات والنظريات اللاهوتية المدسوسة من قبل الأديان". وفي محاضرات محفل الشرق لعام 1923 قولهم: "إنه يجب أن تبقى الماسونية وتصرفاتها المستمرة لملة واحدة، وعليه يجب محو جميع الأديان ومنتسبيها من الأساس".

ومعروف في ترتيبات الماسونية وتصرفاتها المستمرة، أن الملة الواحدة المقصودة بالبقاء هي اليهودية، وما عداها يجب بحسب تخطيطهم أن يحكم عليهم بالفناء.

ونوادي الروتاري والليونيز واجهات للماسونية، وتسألهم عن الروتارية والليونيز، فيقولون لك: هم بعض كبار الموظفين والصناعيين والفنيين والتجار، ومن لفّ لفهم، يتصل بعضهم ببعض في اجتماعات عادية ولقاءات شخصية على الغداء أو العشاء يتم خلالها التعارف بين الإخوان القدامى والجدد الذين يتفهّمون ويحلون مشاكلهم.

وإذا قيل لهم: فما لكم تصرّون على الاتصال برجالات الدولة من حكّام ووزراء ونوّاب، ليكون نشاطهم تحت رعايتهم؟ فيقولون: نحن نسعى إلى السلام العالمي والتفاهم بين الشعوب. وتسألهم: أليس في هذا الكون غير العرب واليهود من يحتاج إلى السلام والتفاهم؟

من ذلك نفهم أن أندية الروتاري والليونز تتدخل بالسياسة والاقتصاد والثقافة وبكل شيء، ولأن نشاطهم يهدم الأخلاق والانتماء الوطني والديني، فقد صدر في 20 من كانون الثاني ديسمبر 1950 مرسوم بابوي من المجلس الأعلى المقدس للفاتيكان يدين أندية الروتاري، ونص المرسوم: "دفاعاً عن العقيدة والفضيلة، تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بالروتاري، وعدم الاشتراك في اجتماعاتها، وإن غير رجال الدين مطالبون بمراعاة المرسوم رقم 684 الخاص بالجمعيات السرية المشتبه فيها (الماسونية)"(68)، وأحرى بالعرب والمسلمين أن يحرّموا هذه النوادي على أفرادهم، وجماعاتهم. والمتتبع يرى حشداً كبيراً من الأقوال التي صرّحت بها المحافل والمؤتمرات والمنشورات الماسونية، ونطق بها كبار الماسونيين في عصور مختلفة، والتي تبيّن الأهداف الحقيقية لهذه المؤسسة اليهودية الصهيونية العالمية، والتي أصبحت من الأمور البديهية المعروفة عند جميع الباحثين، ألا وهي إعادة مجد بني إسرائيل، وتأسيس دولتهم الكبرى التي يريدون لها أن تمدّ سلطانها على العالم أجمع، وأن تهدم جميع الأديان السماوية

والمذاهب الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية النافعة في الأرض، وأن ترفع لواء اليهودية وحدها. وما الدولة الصهيونية في فلسطين إلا وليدة هذه المخططات اليهودية التي استخدمت الجمعية الماسونية وسيلة من وسائلها(69)، ومن المؤسف حقاً أن ينتمي إلى هذه الجمعية السرية الهدامة بأسمائها المختلفة قسم من العرب والمسلمين، وهؤلاء عملوا في الماسونية في خدمة أهداف الصهيونية العالمية والكيان الصهيوني، فمثلهم كمثل من يطعن أمه التي ولدته بخنجر مسموم، ثم يدّعي أنه لم يكن يعرف أنها أمّه حين طعنها، فمن غير المنطقي ولا من المعقول، أن ينتسب المسلم والعربي إلى منظمة تخدم الصهيونية وإسرائيل وهو لا يعرف عنها شيئاً، أو كان مغشوشاً بها، أو مضللاً بأهدافها وشعاراتها، فالماسونية صهيونية، والصهيونية ماسونية، وينبغي أن يكون ذلك معروفاً لكل إنسان.

يتبع إن شاء الله ..

❁ ❁ ❁

الهوامش:

(21) الطبري - محمدبن جرير الطبري - تاريخ الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ص(190/4 - 195) دار المعارف - القاهرة - 1963.

(22) ابن الأثير - عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني - الكامل في التاريخ (49/3 - 52) - دار صادر ودار بيروت - بيروت - 1965.

(23) ابن كثير - أبو الفدا الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية (138/7) - مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض - بيروت - 1966 - ط1.

(24) الطبري - مصدر سابق - (192/4 - 193).

(25) هيكل - الدكتور محمد حسين هيكل - الفاروق عمر (309/2 - 310).

(26) الفاروق عمر (323/2)، وانظر أيضاً ما جاء حول الموضوع في: الضابط - شاكر صابر - تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وإيران - ص (236 - 241) - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - بغداد - 1984.

(27) أهل الذمة: المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم، انظر التفاصيل في: ابن قيم الجوزية - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر - أحكام أهل الذمة - تحقيق د. صبحي الصالح - (16/1 - 17) - مطبعة جامعة دمشق - 1961 - ط1.

(28) انظر سيرته في: الزركلي - خير الدين - (228/4) - الأعلام - بيروت - ط2 - بلا تاريخ.

(29) الأعلام - مصدر سابق - (220/4).

(30) الطبري - مصدر سابق (317/4 - 326 و 326 - 329) وابن الأثير (137/3 و 144/3).

(31) الطبري (330/4 - 339) و (340/4 - 365) وابن الأثير (147/3).

(32) الطبري (365/4 - 396) وابن الأثير (167/3 - 180) وتاريخ أبي الفدا (169/1 - 170) وانظر مكايد يهودية - مصدر سابق - (166).

(33) ابن عساكر ـ علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي تهذيب تاريخ دمشق الكبير (431/7 434 هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران دار المسيرة بيروت 1979 ط2.

(34) الميداني ـ عبد الرحمن حسن حبنكة مكايد يهودية عبر التاريخ دار القلم بيروت 1974.

(35) الطبري ـ مصدر سابق (441/4).

(36) السلمية: بليدة في ناحية البريّة من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين، وكانت تعدّ من أعمال حمص، انظر التفاصيل في: معجم البلدان (112/5 ـ 143) مطبعة محمد أمين الخانجي القاهرة 1906 ط1.

(37) اليماني ـ محمد بن مالك كشف أسرار الباطنية كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة القاهرة.

(38) مكائد يهودية ـ مصدر سابق (174 175).

(39) انظر التفاصيل في: فضائح الباطنية ـ للغزالي ـ تحقيق د. عبد الرحمن بدوي الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ،1964 وانظر: الملل والنحل (175/1) الهامش الشهرستاني، وتاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبي زهرة (545/2) القاهرة بلا تاريخ.

(40) القاموس المحيط (15/4) وشرح السير الكبير (168/1).

(41) كشاف القناع (704/1).

(42) خلدون حاجي معروف ـ الأقلية اليهودية في العراق (25).

(43) الفريد ليلنتال ـ إسرائيل ذلك الدولار الزائف ص (63).

(44) الفريد ليلنتال ـ ثمن إسرائيل ص (146).

(45) مكائد يهودية عبر التاريخ ـ مرجع سابق (206 209).

(46) مكائد يهودية عبر التاريخ ـ مرجع سابق (209 210).

(47) عنان ـ عبدالله دول الطوائف مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (125) القاهرة 1960 ط1.

(48) هي بالاسبانية (Daifontes) وتقع على قيد عشرين كيلو متراً من شمالي غرناطة.

(49) دول الطوائف (130).

(50) كتاب التبيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين المنشور بعناية ليفي بروفنسال ـ ص (42) القاهرة 1955.

(51) انظر الراحة في أخبار غرناطة (446/1 ـ 447) لابن الخطيب القاهرة 1904 و1956، ودول الطوائف (131).

(52) التبيان ـ مصدر سابق ص (39).

(53) البيان المغرب (265/3) والتبيان (40) وأعمال الأعلام لابن الخطيب ص (231).

(54) انظر كتاب التبيان ص (46 ـ 47 و50 53) مصدر سابق.

(55) هو إسحق بن مسعود بن سعيد التجيبي الألبيري، كان فقيهاً محدثًا أديباً شاعراً، سعى به الوزير يوسف لأمور نقمها منه لدى باديس، فأبعده عن غرناطة، فسكن البيرة القريبة منها، وانقطع إلى الزهد والعبادة، ولكنه لبث يحرض صنهاجة على اليهود في شعره ووعظه، حتى وقع الانفجار، وتمّ الفتك بهم، وتوفي البيري في أواخر سنة 459هـ بعد أن شهد آثار تحريضه في بطش صنهاجة باليهود.

(56) العلق: النفيس من كل شيء يتعلق به القلب. (ج) أعلاق، وعلوق.
(57) الغرى: قادة الجيش، ويريد هنا: رؤساءهم وسادتهم، وهي جمع: غرْوَة.
(58) نشر ابن الخطيب في: أعمال الأعلام هذه القصيدة بأكملها، وهي (43) بيتاً، ص (231 - 233) ونشرها دوزي في كتابه: Recherches, V1, Appxxvi
(59) التبيان (54)، والذخيرة ـ القسم الأول المجلد الثاني ص (271 و 272)، والإحاطة (447/1 448)، وأعمال الأعلام (233)، والبيان المغرب (266/3 و 275 276).
(60) انظر تفاصيل القصة في الكتاب المقدس ـ العهد القديم سفر أستير الإصحاح: 1 و2و3 و4 و5 و6 و7 و8 و9 و 10 (533 543) بيروت 1945 ط3.
(61) مكائد يهودية (217) - مصدر سابق.
(62) حسين عمر حمادة ـ شهادات ماسونية (10 12) دار قتيبة بيروت ط1 1980.
(63) شهادات ماسونية ـ مرجع سابق (42 47).
(64) البستاني ـ سيف الدين أوقفوا هذا السرطان (15 112) دار النهضة العربية دمشق 1959.
(65) مجلة القوات المسلحة المصرية ـ رقم 412 أيار مايو 1964.
(66) محمد كرد علي ـ المذكرات (408 409) مطبعة الترقي دمشق 1367هـ 1948م.
(67) رشيد رضا ـ إبراهيم العدوي (260 261) القاهرة 1964.
(68) شهادات ماسونية ـ مصدر سابق (122 123).
(69) مكائد يهودية ـ مصدر سابق (233 238).

التّصور الصّهيوني
للتفتيت الطّائفي والعرقي
-3-



اللواء الركن: محمود شيت خطاب

مكائد الصهيونية من قبيل سنة 1948 حتى اليوم

1 - التفتيت الطائفي والعرقي في الفلسطينيين قبيل سنة 1948

كان الجيش العراقي في سنة 1948 ضمن الجيوش العربية في فلسطين، وكنتُ أحد ضباط الجيش العراقي مع اللواء الذي يعسكر في منطقة جنين الباسلة، وكنت أعمل ضابط ركن اللواء برتبة رائد ركن، وأنوب عن الحاكم العسكري لمدينة جنين، كما كان أهل جنين يحبون الجيش العراقي حباً جماً، ويرعون منتسبيه رعاية كاملة، فكانوا بعطفهم القلبي عليهم قد أنسوهم أهلهم في العراق، لأنهم أصبحوا أهلهم بحق في فلسطين، فكان الاختلاط بين أهل جنين، وبين منتسبي اللواء العراقي الذي يحلّ بين ظهرانيهم مستمراً وثيقاً، كأهل عائلة واحدة تماماً.

وكنت بحكم منصبي (ضابط ركن اللواء) الذي له اتصال مباشر بالفلسطينيين وبحكم نيابتي عن الحاكم العسكري مرات عديدة، واختلاطي الوثيق بأهل جنين أطلع على تفاصيل الروابط الاجتماعية في منطقة جنين عامة ومدينة جنين خاصة فعلمت بوضوح أن الصهاينة عملوا على تدمير الروابط الاجتماعية بين سكان منطقة جنين تدميراً شنيعاً، بحيث فتّتوا السكان تفتيتاً كاملاً، حتى أصبح سكان كل قرية أعداء لسكان القرى الأخرى، وسكان القرية الواحدة أعداء لبعضهم البعض على مستوى العوائل، فكل عائلة تكون وحدة مستقلة، ترى نفسها جديرة بكل خير، وغيرها جدير بكل شر، كما ترى نفسها أحسن من غيرها من العوائل قدراً وقوة وشرفاً، وأن مظهرها يدل على التصافي والوفاق، أمام الخصوم حسب، ولكن الاطلاع على الدخائل يظهر التمزّق بوضوح.

استولى الصهاينة على مدينة جنين، ففرح بنكبتهم أهل قباطية، وقباطية جنوبي جنين وعلى بعد ثلاثة كيلومترات منها، وسقوط جنين يؤدي حتماً إلى سقوط قباطية. وعلمت أن عوائل قباطية تدب على أشجار الزيتون ليلاً وتشعل فيها النيران، ثم تعود إلى القرية ليلاً مستفيدة من الظلام، وكان في كل يوم تقريباً ينشب حريق في أشجار الزيتون وأشجار الحمضيات، فتدخلت بصفتي وكيلاً للحاكم العسكري، فقلت للعوائل المتناحرة بعد أن حشدتها في صعيد واحد: لماذا لا تحرقون أشجار الزيتون والحمضيات التابعة للصهاينة، وهي قريبة منكم؟ والعداوة ناشبة بين العوائل، والشغب بينها قائم على قدم وساق، والصهاينة بسلام.

كان بريد اللواء يحمل رسائل من الأهالي، أكثرها »إخباريات« فيها اتهامات خطيرة جداً، ولكنها خالية من التوقيع، وكان قسم من الأهالي يطلبون مواجهة آمر اللواء، فلا يقولون خيراً إلا نادراً. وحين نضطر إلى استخدام أحدهم في وظيفة من الوظائف، تتناقض أقوال معارفه عنه تناقضاً كبيراً.

وكانت أكثرية أهل جنين مع المفتي الحاج أمين الحسيني عليه رحمة الله، ولكن الأقلية ترفضه رفضاً شرساً، وكان الفدائيون العرب يدافعون في المناطق دفاعاً واهناً، وهؤلاء بحاجة إلى دعم بالرجال، ولكنك لا تجد من يدعمهم عملياً من الشباب الفلسطيني بحجج مختلفة: قسم يدعون بأنهم لا يثقون بهم، وقسم يطالبون بالسلاح للقتال بصورة مستقلة، ولكن من يتولى قيادتهم منهم؟ هنا تسكب العبرات، فكل عائلة تريد أن تستأثر بالقيادة، وترفض رفضاً قاطعاً أن تعمل بإمرة غيرها.

وحين نظم الجيش العراقي وحدات من الفلسطينيين بقيادة ضباط عراقيين، أقبل الشباب الفلسطيني على التطوع في هذه الأفواج، وكان تقبلهم للتدريب ممتازاً حقاً، ولكن كان الضباط لا ينفكون يحلون المشاكل الداخلية الناشبة بينهم، كل واحد منهم يريد أن ينتظم ضمن حظيرة معينة، في فصيل معين، في سرية معينة، مع من يحب ويهوى، لا مع من يعادي ويخاصم، حتى في مجال التكليف بواجب معين، فلابد أن يراعى الانسجام الشخصي، ومع ذلك لا يكاد ينتهي الواجب، إلا ويتبعه سيل جارف من الاتهامات من جهة والادعاءات من جهة أخرى: إلقاء اتهام التقصير على الخصوم، وادعاء النجاح للأصدقاء، ثم يتنافس المدّعون فتضيع الحقائق في ضجيج الاتهامات والادعاء.

لقد مهد الصهاينة بهذا التفتيت الطريق للتغلب على السكان الفلسطينيين بسهولة ويسر، وهذا ما حدث فعلاً بعد إعلان مولد الكيان الصهيوني في منتصف عام **1948** ونشوب الحرب، إذ لم تكن المقاومة الفلسطينية للعدو الصهيوني كما ينبغي، فكان القصف الصهيوني الذي يعقبه هجوم المشاة الصهاينة، يؤدي إلى نزوح الفلسطينيين عن قراهم دون مسوّغ يذكر.

إنّ التفتيت أدىّ إلى الهزيمة المعنوية، ولا أهمية للحشود بدون معنويات عالية.

2 - السّعي لتحقيق الأحلام الصهيونية

أ - رأي سيّف:

يعلم الصهاينة علم اليقين، أنهم لا يستطيعون العيش في فلسطين، والعرب والمسلمون يحيطون بهم من كلّ جانب، وانطلاقاً من هذا الشعور، يرى قادتهم أنه لا حياة لهم في الأرض المحتلة، إلا إذا تمكنوا من إقامة دويلات طائفية في البلاد العربية عامة، لتكون ضعيفة في كلّ مكان، وإقامة دويلات طائفية في لبنان، تعزل الكيان الصهيوني عن البلدان التي يشكل فيها العرب المسلمون أغلبية مطلقة.

إن تمزيق البلاد العربية والعالم الإسلامي، إلى دويلات طائفية وأخرى عرقية، حلم طالما داعب قادة الصهاينة قديماً وحديثاً، وأصبح الحلم حقيقة، عندما تمكن الصهاينة من تأسيس كيانهم في الأرض المحتلة واجتياح لبنان سنة 1982، وتأسيس قوّة لبنانية موالية لهم علناً على حدود الكيان الصهيوني الشمالية، تدافع عن الكيان الصهيوني، وتحارب قومها خدمة للصهيونية.

ولم يكن تنفيذ هذه الخطوة مرتجلاً، فقد كتب: إسرائيل سيف، الذي كان الذراع اليمنى لحاييم وايزمن مقالاً في مجلة: "فلسطين" الصادرة يوم 17 شباط - فبراير 1917، قال فيه: "قمت بدراسة مستفيضة للمشكلة السياسية الجغرافية في فلسطين، وقد توصّلت إلى نتيجة مفادها، أن الحدود الشمالية لفلسطين، يجب أن تمتد إلى شمال صيدا، ثم تتحرّك بعيداً عن البحر، لتضمن حوران وتلال الجولان، ويجب أن تمتد الحدود الشرقية بمحاذاة خط الحجاز للسكك الحديد، على أن تكون على مسافة تتراوح بين عشرة كيلومترات وعشرين كيلو متراً شرق الخط، وبهذا تشمل حدود فلسطين أفضل مناطق تساقط الأمطار، والتي اصطلح على تسميتها بعد ذلك باسم شرقي الأردن.

وفي خطاب إلى وايزمان، شرح: إسرائيل سيف وجهة نظره، فكان مما قاله: "إنني متأكد أنك ستوافق على أنّ فلسطين بدون حوران وخط الحجاز للسكك الحديد، لن تعني بالنسبة إلينا -نحن اليهود مجرّد فلسطين محدودة وضيقة، بدون أيّ أمل في التوسّع، ولكنها تعني أيضاً فلسطين مهددة من جانب مجموعة قوية من العرب، ستجعل موقف شرقي الأردن دقيقاً باستمرار".

إذن كان الصهاينة اليهود في عام 1917، جادّين في محاولة إقامة دولة يهوديّة تضم فلسطين وجنوب لبنان والجولان وحوران -أي جنوب سورية وشرقي الأردن(70)، ولم يكن رأيهم هذا جديداً، وقد نفذوا جزءاً منه في حرب 1967، وجزءاً منه في حرب 1982 في لبنان.

ب - مذكرات بن غوريون:

شارك بن غوريون في المؤتمر الذي عقده المجلس العالمي لعمال صهيون في زيوريخ بسويسرا سنة 1937، وأدلى خلال المؤتمر بالتقرير التالي: "... إنّ واحداً من الامتيازات الأساسية التي أراها في مقترحات اللجنة الملكية، هي رسم الحدود الشمالية للدولة بمحاذاة لبنان، فإلى جانب القيمة التاريخية لجبال الجليل وأهميتها العملية للأمة، يُشكّل جوار لبنان دعماً سياسياً هائلاً للدولة اليهودية. لبنان هو الحليف الطبيعي لأرض إسرائيل اليهودية، فإن شعب لبنان المسيحي يواجه مصيراً مشابهاً لمصير الشعب اليهودي في هذا البلد!! مع فارق واحد، هو أنه ليس بإمكان مسيحييّ لبنان التزايد بواسطة الهجرة الآتية من الخارج.. سيقوم جوار لبنان للدولة اليهودية حليفاً مخلصاً من اليوم الذي ستتأسس فيه، وليس من

المستبعد أن تتاح لنا الفرصة الأولى ـللتوسع عبر الحدود الشمالية في منطقة جنوب لبنان المتاخمة للدولة اليهودية، وذلك بالاتفاق الكامل مع جيراننا وبركتهم، لأنهم بحاجة إلينا".

وجاء في مذكراته المؤرخة في 21 مايو ـ أيار 1947: "إنّ نقطة الضعف في التآلف العربي هو لبنان، وإن السيطرة الإسلامية في هذه الدولة مصطنعة، ويمكن الإطاحة بها بسهولة، ويجب إنشاء دولة مسيحية هناك، تكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني وسوف نوقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة.

وفي يوم 27 شباط ـفبراير 1954 قال بن غوريون في خطاب عام: "إنهم أي المسيحيون اللبنانيون يمثلون الأغلبية في لبنان القديم، وهذه الأغلبية تختلف من ناحية الثقافة والعادات والتقاليد عن سكان بقية الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، وحتى في لبنان بحدوده الواسعة الحالية كان أكبر خطأ ارتكبته فرنسا، توسيع نطاق الحدود اللبنانية لا يتمتع المسلمون بحرية أن يفعلوا ما يشاؤون، حتى إذا كانوا يشكلون الأكثرية هناك وإني لست واثقاً بأيّ حال من الأحوال بأنهم يشكلون أغلبية السكان ويرجع عدم تمتعهم بالحرية إلى خوفهم من المسيحيين، ولهذه الأسباب تصبح إقامة دولة مسيحية هناك أمراً طبيعياً، فإنّ لها جذوراً تاريخية، كما أنها ستتمتع بتأييد دوائر واسعة في العالم المسيحي، الكاثوليكي والبروتستانتي". "وفي الأحوال العادية يكاد يكون تحقيق ذلك أمراً مستحيلاً، وذلك بسبب افتقار المسيحيين أساساً إلى الشجاعة وروح المبادرة. ولكن عندما تسود الفوضى أو القلاقل أو الحرب الأهلية، تتخذ الأمور شكلاً آخر، حتى يعلن الضعيف نفسه بطلاً..."(71).

وسادت القلاقل والحرب الأهلية في لبنان، واتخذت الأمور شكلاً آخر، وأصبح قسم من المسيحيين يجاهرون علناً بالدولة المسيحية، مما يدل على أنّ القلاقل والحرب الأهلية في لبنان، مصدرها الصهيونية وعملاؤها على اختلاف مللهم ونحلهم مواطنهم.

ج ـ خنجر إسرائيل:

في سنة 1958، أصدر الكاتب الهندي: "كرانجيا" صاحب مجلة بليتز الهندية كتاباً أسماه: "خنجر إسرائيل" وقد تضمّن الكتاب وثيقة سريّة أعدّتها الأركان العامة الإسرائيلية ننشر فيما يلي بعضاً مما جاء فيها: "لتقويض الوحدة العربية، وبث الخلافات الدينية بين العرب، يجب اتخاذ الإجراءات منذ اللحظة الأولى من الحرب، لإنشاء دول جديدة في أراضي الأقطار العربية هي:

1 ـ دولة درزية (تشمل المنطقة الصحراوية وتدمر).
2 ـ دولة شيعية: تشمل قسماً من لبنان في منطقة جبل عامل ونواحيها.
3 ـ دولة مارونية: تشمل جبل لبنان حتى الحدود الشمالية الحالية للبنان.
4 ـ دولة علوية (نصيريّة): تشمل اللاذقية حتى الحدود التركية.

5 ـ دولة أو منطقة ذات استقلال قبطي.

وستوزع الأراضي العربية، بما في ذلك المنطقة الصحراوية بين الدول الجديدة. أما المناطق العربية التالية، فستبقى على حالها: دمشق، جنوب العراق، مصر، المنطقة الوسطى والجنوب من العربية السعودية. ومن المرغوب فيه أن يصار إلى إيجاد ممرات واسعة غير عربية، عبر هذه المناطق العربية"(72).

وجاء في هذه الوثيقة: "ويجب خلق الأحوال الآيلة إلى التعاون مع الشعب في سورية ولبنان، وسيتطلب الأمر أن نظهر الودّ حيال الدروز والموازنة، وأن نؤيد أمانيهم بإقامة دولتين مستقلتين"(73).

وجاء في هذه الوثيقة أيضاً: "إذكاء نيران الخلافات الداخلية بين الشعوب العربية"(74). وجاء فيها: "لا تستطيع الدول العربية أن تجابه إسرائيل بمقاومة كبرى، إلا إذا كانت متحدة. وطالما ليس ثمة قطر عربي أقوى من إسرائيل وحده، وبالتالي طالما لا يستطيع أي قطر عربي أن يشنّ بمفرده حرباً على إسرائيل، فإن الوحدة العربية في الحرب هي جوهريّة. لقد استوعب العرب دروس الحرب الفلسطينية، ولذلك فهم ينافحون الآن للوصول إلى الوحدة السياسية والعسكرية.

"وإن معاهدة الضمان الجماعي العربي الحالية، قد تكون بمثابة قاعدة لعمل مشترك، تقوم به الجيوش العربية الموقعة على المعاهدة، ولهذا يرتدي أعظم الأهمية بالنسبة لنجاح عملياتنا الحربية، ذلك العمل السياسي التمهيدي الذي يجب أن تقوم به في الأقطار العربية، بمساعدة الدول الغربية، إن هذا العمل السياسي التمهيدي، يرمي إلى بذر بذور الشقاق بين الدول العربية".

ويرى المراقبون تنفيذ هذه المخططات الصهيونية في لبنان، ومعاهدة الضمان الجماعي العربي غائبة عن الميدان في سبات عميق، والتفتيت الطائفي والعرقي يبدو واضحاً في لبنان وفي غير لبنان أيضاً مع الأسف الشديد، وذلك كله لمصلحة العدو الصهيوني ومن وراءه من دول الاستعمار القديم والحديث.

د ـ الرسائل المتبادلة بين إدّه وكيسنجر:

قام ريمون إدّه بنشاط هائل، زعم أنه من أجل منع تقسيم لبنان، وكان من أبرز نشاطه زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ومعظم العواصم الأوربية، وختم جولاته برسالة بعثها إلى وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية، وصفه فيها: بأنه مهندس الحرب اللبنانية بتكليف من إدارة البيت الأبيض، وننقل فيما يلي ما يخصّ تقسيم لبنان من الرسالة: "... إنّ المخطط يقضي إعطاء البقاع وطرابلس وعكّار ـ أي المنطقة التي اقتطعت من سورية عام 192. وضمّت إلى لبنان تكون هذه الأراضي بدلاً عن الجولان التي لن تتنازل عنها إسرائيل، وما تبقى من لبنان يُقسم ثلاثة أقسام:

الأول: شمال طريق بيروت ـ شتورة للمسيحيين.

والثاني: ويقع جنوب الطريق المذكور حتى نهر الليطاني، يعطى للبنانيين المسلمين وللفلسطينيين.

والثالث: ويقع بين الليطاني والحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية، تحتله إسرائيل من أجل تأمين المياه اللازمة لها".

ورد كيسنجر برسالة بعث بها إلى إده جاء فيها: "إن الزلازل لا تحدث إلا في الأرض المشقوقة، ولا أكتمك أن لبنان هو بلد مثالي لتحقيق المؤامرات، ليس ضدّه فقط، وإنما ضد العالم العربي ككل، ومن هنا اكتشفت في تناقضاته عناصر جديدة لنصب فخ كبير للعرب جميعاً. إن التناقضات اللبنانية هي التي كانت تؤمن لنا الخطة وسلامتها، مرة واحدة حدث خطأ عربي ـ أوروبي، كاد يجمّد حركة العملية، وسارعت بإرسال (براون) وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط، وقد اكتشف بسرعة موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرّك الأمور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة. وقد تسأل يامستر إدّه عن طبيعة هذه الخطة! لا أكتمك أنني بدأت بشيء، ثم انتهيت بشيء آخر. كان همي الوحيد أن أبعد الاتحاد السوفياتي عن مجال التدخل والحسم والمشاركة في حلّ أزمة الشرق الأوسط، كما أسعى إلى تأجيل مؤتمر جنيف والاعتراف بمنظمة التحرير إلى ما بعد انتخابات الرئاسة، أي مدة سنتين على الأقل، ثم تشعبت مطامحي بعد أن رأيت أن خصوبة الأحداث الدامية في لبنان قد أسقطت صيغة التعايش المطروحة، وبعد ما بدا لي أن ما كان يحلم به موشي شاريت عندما كتب رسالته الشهيرة إلى بن غوريون في 1954/3/18 أصبح سهل المنال.

"فقد تحدّث الرجلان الإسرائيليان يومها عن وجوب تقسيم لبنان إلى دولتين طائفيتين، وإنما دعني أستعمل عبارة شاريت حرفياً: (لا جدوى ولا فائدة من محاولة إثارة حركة من الخارج، إذ ا لم يكن لهذه الحركة وجود في الداخل، ومن الممكن تعزيز روح حيّة إذا كانت تنبض من تلقاء نفسها، وليس من الممكن بعث الروح في جسد لا تبدو عليه دلائل الحياة)، هذا ما قاله شاريت حرفياً عن لبنان، لذلك أريدك ألا تجعلني مسؤولاً عن خطة كانت إسرائيل تمهّد لها منذ عام 1954. صحيح إنني أفكر بخلق دويلات شبيهة بإسرائيل، بعدما أخفقت في إقناع الدول العربية بفكرة الصلح الانفتاحي، وفي قبول هذه الدولة ـ أي إسرائيل جزءاً من المنطقة، ولكن الصحيح أيضا أن الأحداث الدامية التي افتعلناها أمدّت لنا أرضية مثالية لتقسيم النفوس الموحّدة، وتدمير صيغة التعايش، وإحداث خلل أساسي في النظام الديمقراطي الوحيد في المنطقة"(75).

ولا مجال للتشكيك في الرسالتين، لأن أحداث لبنان تطبيق عملي لرسالة كيسنجر، ومن جهة أخرى لم يصدر عن الرجلين أي تكذيب لما نشرته الصحف عن الرسالتين، علماً بأن

رسالة كيسنجر فيها تجريح لريمون إدّه، ومن مصلحته لو كانت الرسالة غير صحيحة أن يصدر بياناً ينكر فيه اطلاعه على مثل هذه الرسالة.

هـ - الإمارة الدرزيّة:

بعد سقوط الجولان بيد العدو الصهيوني، جرت محاولات بين الكيان الصهيوني وقسم من رجالات الدروز، في الجولان المحتلة وفي أوروبا، لتشكيل إمارة درزيّة. وقد انكشفت هذه المحاولات، وأدلى من جرى الاتصال بهم من الدروز بشهاداتهم، فتوقفت المحاولة علناً، ولم تتوقف سرّاً .

حدود الدولة الدرزية: تمتد هذه الدولة أو الإمارة الدرزية، في جبل الدروز، إلى الشاطئ اللبناني محيطة بإسرائيل، وتشمل محافظة القنيطرة، وقضاء قطنا، وضواحي دمشق (بعض قرى الغوطة الدرزية)، فقضاءي حاصبيا وراشيا، ثم الشوف وقضاء عاليه حتى خلدة، بما في ذلك بلدة الشويفات.

عاصمة الإمارة: من المقرر أن تكون السويداء أو بعقلين عاصمة هذه الإمارة، وذلك حسب أيّ من دروز لبنان أو سورية، يكونون أكثر تعاوناً مع إسرائيل.

علم الدولة: هو العلم ذو الألوان الخمسة الذي وضعته فرنسا للدولة الدرزية، بعد تقسيمها لسورية، على أيام الاحتلال الفرنسي.

السكّان: يكون المسلمون السنيون والشيعة في لبنان الجنوبي (المشمول في الإمارة) وكذلك في حوران والبقاع الغربي، مخيّرين في البقاء كأقلية لا شأن لها ضمن الإمارة الدرزية أو الرحيل. أما المسيحيّون، فلا ضير من بقائهم، ويمكن إشراكهم في الحكم كأقليّة.

المقومات الاقتصادية: مضمونة من قبل إسرائيل بتعهدات أمريكية، يصبح ميناء صور بعد تطويره الميناء التجاري للإمارة، ويبقى ميناء صيدا لتصدير النفط.

رصدت أمريكا مبلغ ثلاثين مليون دولار للبدء بتهيئة الأجواء لتنفيذ المخطط(76).

وهناك دراسات تشمل طوائف شتى وقوميات مختلفة، معروفة في الوطن العربي، ضربت عنها صفحاً لأنها معروفة، ولأنّ النشاط الصهيوني في التفتيت الطائفي والعرقي نشاط مشهود، لا يكاد يخفى على كل ذي عقل سليم.

الخاتمة

لا تقتصر الصهيونية على إحباط محاولات العرب للوحدة العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية، بل تحاول جاهدة لتفتيت الوطن العربي إلى دويلات طائفية وعرقية، ليصبح في كل قرية منبر وعلم وأمير، وبذلك تحقق الصهيونية شعارها الذي رفعته من سنة 1948 حتى اليوم، وهو: ولدت الصهيونية في الأرض المحتلة لتبقى.

وليس بإمكان الكيان الصهيوني أن يبقى في محيط، يتفوّق عليه عددياً بنسبة سبعين من العرب على واحد من الصهاينة، وسعة بنسبة أربعين للعرب إلى واحد للصهاينة، كما أن

الطاقات العربية المادية والمعنوية متفوقة بالنسبة للعرب على الصهاينة تفوقاً ساحقاً، ولكن هذه الطاقات الضخمة غير منظمة كما هو الحال في تنظيم الطاقات الصهيونية، فإذا بقيت الطاقات العربية ساعة غير منظمة، فلن تبقى كذلك إلى قيام الساعة، لذلك أنذر الصهاينة عقلاؤهم وحكماؤهم، بأن مصيرهم مظلم على المدى البعيد، وأن تجمعهم في موطن واحد، له أفدح العواقب. إذ تكون الصهيونية مهددة بالاندحار وتكبيدهم خسائر فادحة في الأموال والأرواح. وقد صدرت عشرات الكتب تنذر الصهاينة بالمصير المظلم كما هو معروف.

ولكن الصهاينة لم ينصتوا إلى مفكريهم وآراء حكمائهم، فتغلبت الصهيونية في اتجاهها السياسي على الحكمة، فكان على الصهاينة أن يعملوا على إضعاف جيرانهم بالتفتيت الطائفي والعرقي تارة، وحرمانهم من التفوق التقني تارة أخرى، والعمل على سيادة: الحضارة العبرية، بإضعاف نفوذ الديانتين الإسلامية والمسيحية السائدتين في البلاد العربية تارة أخرى، ليكون بإمكان الصهاينة الاستيلاء على إسرائيل الكبرى: من النيل إلى الفرات(77)، والسبيل إلى نشر الحضارة العبرية: هو التعليم العبري من جهة، وتكريه العرب بدينهم وقيمهم العليا من جهة أخرى. فقد كانت الكتب المقررة لدراسة التاريخ في المدارس اليهودية في العراق، ترتكز على موضوعات معينة ذات دلالات خاصة، مثل: »أورشليم«، وعلى ما يسمى بالسبي البابلي لليهود، ومواقف العرب من اليهود قبل الإسلام وبعده، وكيف هبت ملوك الفرس لمساعدة اليهود وأعانوهم في العودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد. وفي جميع الدراسات التاريخية تشويه مقصود للتاريخ العربي الإسلامي، وإثارة الحقد والضغينة على العرب والمسلمين وتراثهم الحضاري، وإظهار التاريخ اليهودي بمظهر الفاعلية والطاقة السياسية والاجتماعية، مما يغرس في نفوس الطلاب اليهود في العراق منذ نعومة أظفارهم: أفكار معاداة العرب، ورفض التعايش معهم، ومبادئ الدعاية للصهيونية، ويعدّهم فكرياً وسياسياً لخدمة أهداف الصهيونية، وفي الوقت الذي كانت جميع المدارس اليهودية في العراق تدرّس وبلا استثناء، اللغة العبرية، وهي في مناهجها ليست لغة دين فقط، وإنما هي أداة لتحقيق الوحدة بين يهود العراق ويهود العالم، وتعميق الشعور بالمصير اليهودي الواحد. والأكثر أهمية، أنّ طلبة المدارس اليهودية في العراق من البنين والبنات، كانت تشدّهم جميعاً الرابطة اليهودية التي توثقت عراها في الأحياء اليهودية المغلقة، وفي المدارس اليهودية والمعابد الملحقة بها، وفي النشرات والصحف والمجلات العبرية التي تقوم بتوزيعها المنظمات الصهيونية في العراق (في حينه)، فقد عملت هذه الرابطة على توجيه أبصارهم وقلوبهم إلى فلسطين، قبل قيام الكيان الصهيوني، وبعد قيامه عام 1948، فأضعفت ولاءهم إلى حد كبير للعراق الذي يعيشون على أرضه، وينعمون بخيراته، وينالون العطف والتسامح من أهله، وعمقت في نفوسهم الحقد والكره على غير اليهود من أبناء الشعب العراقي. كما أن المعلمين والمدرسين اليهود الذين قدموا من فرنسا

وغيرها من الأقطار الأوروبية ومن فلسطين، للتدريس في المدارس اليهودية في العراق، كانوا يحملون أفكاراً معادية للعرب وللغة العربية وللتاريخ العربي وتراث العرب الحضاري، ويجهدون من أجل نشرها بين طلبة المدارس اليهودية، وبخاصة الأطفال منهم في رياض الأطفال وفي الصفوف الأولى للدراسة الابتدائية: "إن الطفل الصغير، يقرأ وهو في سنيه الأولى، كتاباً عبرياً طبعته له منظمات صهيونية في فلسطين، حاولت من خلاله تنشئة الطفل نشأة صهيونية محضة، فيتقزّز من منظر عربي وينفر من كل ما يسمى وطناً عربياً"(78). وكان الحرص على تعلم اللغات الأجنبية والتحدث بها بطلاقة في المدارس اليهودية، أشد كثيراً من الحرص على تعلم اللغة العربية، كل ذلك، من أجل قطع رابطة الطالب اليهودي والطالبة اليهودية باللغة العربية، أو لتهمل دراستها وإجادة الكتابة بها، فمدير مدرسة (الأليانس) اليهودية في العمارة على سبيل المثال، كان يُقاصص كل طلاب يتكلم اللغة العربية، ويجبرهم على التكلم باللغة الفرنسية"(79)، وفي طريق تنفيذ المخطط الصهيوني للاستيلاء على أرض فلسطين العربية، فقد وجّهت المدارس اليهودية في العراق عناية خاصة جداً، وبأسلوب دقيق وغير مباشر، ولكن نشيط وفعّال، بـالتثقيف العسكري والتجسس. وقد أثبتت التحقيقات التي قامت بها الأجهزة الأمنية مع العناصر التي عملت في المنظمات الصهيونية الإرهابية في العراق، أن المدارس اليهودية، كانت من أخطر البؤر التي عملت على تجنيد الناشئة اليهود في التشكيلات العسكرية التخريبية، والتدريب على الأسلحة وصنع القنابل والمتفجرات وكيفية استخدامها(80) وأغلب معلمي ومدرسي المدارس اليهودية في العراق الذين يدرّسون اللغة العبرية إن لم نقل جميعهم كانوا من دعاة الصهيونية ومن المتحمسين لإقامة الكيان الصهيوني ممن يحرصون على غرس المفاهيم الواردة في التوراة والتلمود في نفوس التلاميذ، وهي أساس المنطلقات الفكرية والسياسية للحركة الصهيونية العالمية، كما وردت في بروتوكولات المؤتمر الصهيوني العالمي عام 1897 والمؤتمرات اللاحقة لهذا المؤتمر. لقد جاء في قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين المنعقد في القدس في عام 1972: "واجبات الصهيوني تجاه اللغة العبرية والتربية اليهودية: إن واجب كل صهيوني في تعلم تقاليد الشعب والإلمام بها، ويجب أن تكون اللغة العبرية اللغة الثانية لكل يهودي في المنفى، وبواسطة العبرية تنمو ثقافة الشعب، ويتم إغناء حياة اليهود الروحية في الشتات (EXODOS) أي في الأقطار عدا فلسطين ويتم إعداد الذين يتعلمونها للهجرة والاستيطان في البلد (أي في الكيان الصهيوني)»(81).

لقد كانت المدارس اليهودية في العراق، تعمل عملها التخريبي، وهي في خدمة الصهيونية العالمية وتحقيق أهدافها نصاً وروحاً، وما يقال عن التخريب في العراق خدمة للصهيونية، يقال عن البلاد العربية الأخرى، فقد كان يهود البلاد العربية يعملون للصهيونية

بكل طاقاتهم المادية والمعنوية(82)، لنشر الحضارة العبرية في البلاد العربية، ولن تنتشر هذه الحضارة إلا بإماتة الحضارة العربية الإسلامية وإضعاف أثرها وتأثيرها في عقول وقلوب العرب والمسلمين، كما صرح بذلك الصهاينة وبخاصة المستشرقين منهم، ولا عتب على الصهاينة في دسهم، فهذا هو دأبهم، وهم أعداء على كل حال، والعدو لا ينصف عدوه أبداً، ولكن العتب على أبنائنا من معلمين ومدرسين وأساتذة، الذين ينقلون أفكار الصهاينة المتخذة لبوس البحث العلمي زوراً وبهتاناً، دون تمحيص وتدقيق وبحث واستقصاء، لاستكشاف مكامن الزيغ والخطل، ونقل هذه الأفكار لتسميم عقول تلاميذنا وطلابنا في المدارس والمعاهد والجامعات، فلابد من الحذر من أفكار المستشرقين الصهاينة ومن لفّ لفهم، فقد تخصصوا بالكذب والدسّ، وانحرافهم واضح للعيان لا يخفى على عاقل سوى العقل من العرب والمسلمين، وحتى من غير العرب والمسلمين.

لقد كان ليهود العراق نشاط صهيوني قبل الحرب العالمية الأولى، وكان لهم نشاط محموم بعد الحرب العالمية الأولى، وقد أسسوا منظمات صهيونية في العراق، كان لها نشاط تخريبي مشهود، وكان لهذه المنظمات إرهاب موجه ضد يهود العراق لإجبارهم على الهجرة إلى الأرض العربية المحتلة في فلسطين، وقد ثبت ذلك في محاكمات عادلة(83)، وما يقال عن نشاط يهود العراق، يقال عن نشاط سائر الدول العربية كافة بدون استثناء.

ولعل أخطر الآفات التي تعرضت وتتعرّض له أمتنا العربية المجاهدة، هي محاولة أعدائها، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وتباين مذاهبهم ومعتقداتهم، خلق حالات من الفوضى والاضطراب بين الأمة الواحدة، وتغذية روح التنافر والعداء بين أفرادها، واستثارة التفرقة والخلاف الديني في صفوفها، كل ذلك من أجل شلّ حركة النهوض واليقظة. وأخطر الدروس المستفادة من قراءة تاريخنا وحركته هو: ثبات المرتكزات والمحاور التي اعتمدتها حركات الهدم وشبكات التخريب، ماضياً وحاضراً، حتى ليصدق عليها القول، بأن جميعها تبدو متماثلة متحدة في أصولها وجذورها ومناهج عملها وخططها، وإن اختلفت في المصادر والصّور والأشكال الخارجية وفي مفردات مواقفها الجزئية.

والدارس لهذا البحث، يجد أن الأساليب التي اتبعها يهود العراق القدامى على عهد البابليين العراقيين من الخلف، وبيعهم لأعدائهم بثمن بخس، وتشجيع أعدائهم على اكتساحهم دون مسوّغ معقول، لا تختلف كثيراً عن أساليب يهود العراق من سنة 1914 إلى سنة 1952 في نشاطهم الصهيوني والتجسّسي والتخريبي في العراق وخارجه خدمة للصهيونية العالمية ومخططاتهم قديماً وحديثاً يمكن إجمالها في: تفتيت البلد الذي يعيشون فيه إلى طوائف وعروق، وتحريض الأعداء عليه، والتعاون مع العدو المغتصب، وكشف أسرار البلد، والدعاية السيئة ضده لتشويه سمعته زوراً وبهتاناً، والغدر ونقض العهود، والسيطرة الاقتصادية على البلد، والتفريق بين أبناء البلد الواحد، وبين أبناء الأقطار

العربية بالإشاعات الكاذبة، ومحاولة تشقيق جماعتهم، وإضعاف قوتهم بالفتن والقلاقل الداخلية والخارجية وبالحروب التي لا مسوّغ لها، وإضعاف الروح المعنوية، وغير ذلك من المكايد التي تقضّ مضاجع الحكّام والمحكومين على حد سواء.

فلابد من أن يحذرهم العرب والمسلمون، فهم أعداء متربصون، وأطماعهم التوسعية لا يجهلها أحد، لأنها معلنة لا يخفونها، وهي بالنسبة لهم جزء من الدين، لأنّ مصدرها التوراة والتلمود.

والحمد لله كثيراً، والشكر له على توفيقه، وأدعوه أن يفيد بهذه الدراسة، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

تمت

***

الهوامش:

(70) مجلة فلسطين -العدد 115 تاريخ 1982/7/3 مقال بيتر مانسفيلد الخبير البريطاني في الشؤون العربية.

(71) الذواوي -محمد عبد الغني الذواوي الصراع العربي الاسرائيلي (313 314) بيروت 1983 ط1.

(72) كارانجيا -خنجر إسرائيل (91) نقله إلى العربية مروان الجابري المكتب التجاري للطباعة بيروت 1967 ط2 وانظر الصراع العربي الإسرائيلي (315/1) مصدر سابق.

(73) خنجر إسرائيل - مرجع سابق (90).

(74) خنجر إسرائيل -مرجع سابق (41).

(75) رسالة كيسنجر نشرتها أكثر من صحيفة عربية، انظر جريدة الوطن الكويتية الصادرة في 1977/8/19، ورسالة ريمون إدّه نشرتها جريدة السياسة الكويتية الصادرة بتاريخ 1976/6/12، نقلاً عن: الصراع العربي الإسرائيلي -مرجع سابق (317 319).

(76) ملخص فكرة تلك الكتب، أنّ الصهاينة إذا بقوا مشردين في أقطار الأرض، كما كانوا عليه قبل مولد الكيان الصهيوني سنة 1948 في الأرض العربية المحتلة: فلسطين، أفضل لهم من تجمعهم في موطن واحد، لأنّ تفرقهم يحميهم من الإبادة الكاملة، حتى إذا اضطهد الصهاينة في قطر ما، وأبيدوا هناك مثلاً، يبقى الصهاينة في الأقطار الأخرى سالمين، كما حدث منذ كانت اليهودية حتى اليوم، أما إذا اجتمعوا في مكان واحد، في وسط من الناس يعاديهم ويعادونه، فإن ذلك يؤدي إلى تكبيدهم خسائر عظيمة اليوم أو غداً، هم في غنى عنها، ويعيدون عن أخطارها في حالة تشتتهم.

(77) خنجر إسرائيل -مصدر سابق (31)، وانظر: أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية دار الفكر بيروت ط2 1971.

(78) موسى بن نصير -شذوذ ومآسي الطائفة اليهودية مطبعة الكرخ بغداد 1352هـ من (239 240).

(79) شريف يوسف ـ مدارس الاتحاد الإسرائيلي في العراق (الاليانس) وارتباطاتها بالحركة الصهيونية العالمية مجلة آفاق عربية السنة السادسة العدد (5) كانون الثاني 1981 ص (49).

(80) البراك ـ د.فاضل البراك المدارس اليهودية والإيرانية في العراق (46 47 48 بغداد 1984).

(81) المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون ـ 1972 مترجم عن العبرية والإنكليزية بإشراف الدكتور إلياس شوفاني مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ومركز الدراسات بجريدة الأهرام بيروت 1977 ص (432).

(82) أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف ـ اليهود والحركة الصهيونية في مصر (1897 1947) كتاب الهلال العدد (219) القاهرة 1969.

(83) انظر التفاصيل في: السوداني ـ صادق حسن النشاط الصهيوني في العراق 1914 1952 وزارة الثقافة والإعلام بغداد 1980.

المصادر والمراجع

إبراهيم العدوي:

1 ـ رشيد رضا سلسلة أعلام العرب رقم 33 المؤسسة المصرية للتأليف والنشر.
القاهرة - 1964.

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري.

2 ـ الكامل في التاريخ بيروت 1385هـ.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي:

3 ـ الفصل في الملل والنحل القاهرة 1928 1929.

ابن الخطيب: لسان الدين بن الخطيب.

4 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة القاهرة 1954.

5 ـ أعمال الأعلام بيروت 1956.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي.

6 ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر بيروت 1932.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري.

7 ـ الطبقات الكبرى بيروت 1376هـ.

ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي.

8 ـ العقد الفريد القاهرة 1373هـ.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر.

9 ـ تهذيب ابن عساكر دمشق 1329هـ.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

10 ـ عيون الأخبار القاهرة 1383هـ.

11 ـ المعارف تحقيق ثروة عكاشة 1960.

ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر.

12 ـأحكام أهل الذمة تحقيق صبحي الصالح دمشق 1381هـ.
ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير.
13 ـالبداية والنهاية بيروت 1966.
أبو زهرة: الشيخ محمد أبو زهرة.
14 ـتاريخ المذاهب الإسلامية القاهرة. بلا تاريخ.
أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر.
15 ـالمختصر في أخبار البشر القاهرة بلا تاريخ.
البراك: د. فاضل البراك.
16 ـالمدارس اليهودية والإيرانية في العراق بغداد 1984.
البستاني: سيف الدين البستاني.
17 ـأوقفوا هذا السرطان دار النهضة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق 1959.
بلقين: عبد الله بلقين.
18 ـالتبيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين القاهرة 1955.
التل: عبد الله التل.
19 ـالأفعى اليهودية في معاقل الإسلام بيروت 1971.
20 ـخطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية القاهرة 1964.
التونسي: محمد خليفة التونسي:
21 ـالخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) بيروت بلا تاريخ.
توينبي: آرنولد توينبي.
22 ـمحاضرات ترجمها د. فؤاد زكريا القاهرة 1966.
حمادة: حسين محمد حمادة.
23 ـشهادات ماسونية بيروت 1980.
خطاب: محمود شيت خطاب.
24 ـأهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية بيروت 1971 ط 3.
25 ـالوسول القائد بيروت 1974 ط5.
26 ـطريق النصر في معركة الثأر بيروت 1972 ط2.
27 ـالوجيز في العسكرية الإسرائيلية بيروت 1972 ط3.
الزركلي: خير الدين الزركلي.
28 ـالأعلام القاهرة 1373 1378هـ ط2.
السوداني: صادق حسن السوداني.
29 ـالنشاط الصهيوني في العراق 1914 1952 بغداد 1980.
السرخسي: محمد بن أحمد السرخسي.
30 ـشرح كتاب السير الكبير محمد بن الحسن الشيباني القاهرة 1958.
الضابط: شاكر صابر الضابط.
31 ـتاريخ المنازعات والحروب بين العراق وإيران بغداد 1984.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
32 - تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1964.
طعيمة: صابر عبد الرحمن.
33 - إسرائيل بين المسير والمصير القاهرة 1973.
عنان: محمد عبد الله عنان.
34 - دول الطوائف في الأندلس القاهرة 1960.
أبو حامد الغزالي:
35 - فضائح الباطنية تحقيق عبد الرحمن بدوي القاهرة 1964.
غنيمة: يوسف رزق الله.
36 - نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق بغداد 1924.
كرانجيا: ر. ك. كرانجيا:
37 - خنجر إسرائيل بيروت 1967 ط2.
كرد علي: محمد كرد علي.
38 - المذكرات مطبعة الترقي دمشق 1948.
ليتنتال: ألفريد.
39 - ثمن إسرائيل بيروت 1967.
40 - إسرائيل ذلك الدولار الزائف ترجمة عمر الديراوي بيروت 1965.
معروف: خلدون ناجي.
41 - جوانب من التعليم اليهودي مقالة منشورة في العدد (17) من مجلة مركز الدراسات. لشهري تشرين الأول والثاني 1976.
منصوربن يونس بن إدريس:
كشاف القناع - 1394.
الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
42 - مكائد يهودية عبر التاريخ بيروت 1974.
النواوي: محمد بن عبد الغني النواوي.
43 - الصراع العربي الإسرائيلي بيروت 1983.
ناتنك: أنتوني.
44 – I saw for my self London -1958.
نويهض: عجاج نويهض.
45 - بروتوكولات حكماء صهيون بيروت 1980.
ياقوت شهاب الدين: أبو عبد الله ياقوت الحموي.
46 - معجم البلدان القاهرة 1323هـ.
اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح.
47 - البلدان ليدن 1892.
اليماني: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني.

48 كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة   القاهرة   بلا تاريخ.

اللِّواء الرَّكن

محمود شيت خطاب

المُجاهِدُ الَّذي يحمِلُ سيفَهُ في كُتُبِهِ

١٣٣٧ - ١٤١٩ هـ
١٩١٩ - ١٩٩٨ م

تأليف

عبد الله محمود

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي والعرقي

كتب اللواء خطاب هذا الكتاب عام ١٩٨٧م ولم تساعده صحّته لمتابعة هذا البحث القيّم الذي هدف منه إلى تحذير العرب والمسلمين من مكايد اليهود، ليكونوا على بيّنة من أمرهم، وحتى لا يقولوا يوماً: ما جاءنا من نذير، فقد أنذرهم اللواء الباحث الاستراتيجي أكثر من مرّة، ولكنّ قادتهم عموا وصمّوا، ولم يستمعوا له ولم ينصتوا، ليعوا صوت النذير العريان قبيل وقوع نكبة حزيران، وقبلها وبعدها.

وقد رجع بنا المؤلف إلى العصور القديمة، واستعرض لنا مسيرة الغدر والخيانة لدى يهود منذ السبي البابلي الذي قام به نبوخذ نصر مرتين ضدّ اليهود، ثم ما كان من استقرار قسم منهم في العراق القديم الذي أحسن إليهم سكّانُه، فأساؤوا ـ أي اليهود ـ إليهم، وغدروا بهم، وعملوا على تفتيت بلادهم وتمزيقها، وحرّضوا أعداءهم عليهم، وأغروهم بغزوهم، ثم ساعدوهم في غزو العراق، وتقتيل أهله واستعبادهم. كلّ هذا من أجل إضعافه، وإرهاق أهله، لتكون لهم الغلبة عليهم.

ثم انتقل بنا المؤلف إلى (مصاولة الإسلام والمسلمين في عهد الرسالة) حيث ناصبوا النبيَّ ﷺ العداء، وأظهروا النفاق، ولم يرعوا المعاهدة التي أبرمها الرسول القائد ﷺ معهم بُعيْدَ هجرته إلى المدينة. وقد أحصى المؤلف إحدى عشرة مكيدة لهم، وضرب الأمثلة على تلك المكايد من المصادر الموثوقة، كعهده في الأمانة والصدق فيما يروي من

كتب التاريخ المعتمدة.. ولكنّ الله ردَ كيدهم في نحورهم، وكانت مكايدهم سبباً في تخليص شبه الجزيرة من شرورهم وآثارهم.

وتابع المؤلف (محاولات اليهود التخريبية على عهد الخلفاء الراشدين) فتحدث عن دورهم في استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد أبي لؤلؤة المجوسيّ، ودورهم في إثارة الفتنة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، التي تولّى كبرها اليهودي ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) الذي أعلن الإسلام وأبطن اليهودية، ليفسد أهل البصرة والكوفة ومصر على عثمان وانتهت باستشهاده، وتمزيق وحدة الأمة. وقد تابع ابن السوداء مهمته التضليلية أيام الإمام علي، رضي الله عنه، فزعم أن علياً نبي، ثم زعم للناس أن علياً إله، وبعد استشهاد علي، زعم أن علياً لم يُقتل، بل رُفع إلى السماء كعيسى، وأن الذي قُتل شيطان في صورة علي. كما كان له دوره في تمزيق شمل المسلمين، بظهور الخوارج، وبمقتل علي، وفي المعارك التي دارت رحاها بين المسلمين.

وفي (مكايد اليهود) عبر القرون الأربعة عشر التي تلت عهد النبوّة، تحدّث عن مكايد اليهودي ميمون القدّاح الذي ادّعى الإسلام، وأسقط الفرائض عن أتباعه، فلا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حجّ، كما أباح كلَّ المحرّمات، فجوّز نكاح المحارم من الأمهات والأخوات والبنات، ودعاهم إلى الانسلاخ من سائر التعاليم الإسلامية، والضوابط الإنسانية، ومكّن بالغدر والخداع للباطنية، الذين انطلقوا يعيثون فساداً وإفساداً، قتلاً وحرقاً وتدميراً واغتصاباً، ويتعاونون مع الجيوش المعادية الغازية.

وميمون القدّاح هذا ـ يهوديّ متعصب ليهوديته، وحبرٌ من أحبار يهود، وكان عالماً بالفلسفة والتنجيم، وكان صائغاً في بلدة (السلمية) أعلن إسلامه، وأضمر يهوديته، ثم ألحق نسب ابنه سعيد بنسب آل النبي ﷺ،

وكان وأتباعه يتعاملون مع اليهود، ويكلون إليهم أمورهم.

وعندما جاء من بعده العبيديون، استوزروا اليهود، فظلم اليهودُ المسلمين.

وتحدّث عن الفتن التي أحدثها القدّاحيون، ثم القرامطة، والأرواح التي أزهقوها، والأموال التي صُرفت، والجهود التي بُذلت، في سبيل إخماد تلك الفتن الشيطانية الباطنية التي أثاروها لتمزيق الأمة.

وفي (مكايد اليهود في التسلل إلى السلطة) تحدث عن المعاملة الطيّبة التي عامل المسلمون بها اليهود، لأنهم أهل ذمّة والذمة تعني العهد والأمان ـ حتى تسلموا مناصب رفيعة في الدولة العبّاسية، ولكنهم غدروا بالمسلمين عندما جاء التتار واستولوا على بغداد، فساموهم سوء العذاب، وساعدوا على تقتيلهم والتنكيل بهم.

وكذلك فعلوا في الأندلس، عندما استطاعوا التسلل إلى مراكز السلطة، فأثاروا الفتن، وحاكوا المؤامرات، وأوقعوا بين الأمراء، وغدروا بأرباب نعمتهم.

وتحدّث المؤلف عن مكيدة استخدام النساء للتأثير في الذين يريدون السيطرة عليهم، وضرب الأمثال بسفر (أستير)، وسفر (يهوديت)، وبما كان منهم في العصر الحديث، وبعد الهدنة عام ١٩٤٨م في فلسطين، مع ضباط الأمم المتحدة، من فرنسيين، وهولنديين، وبلجيكيين، حتى صاروا جواسيس لدى اليهود الذين أغرقوهم بالجنس.

وتحدّث عن لجوئهم إلى إنشاء الجمعيات السريّة، من أجل تحقيق أهدافهم الخبيثة، لأنهم قلة، ولا يستطيعون فرض هيمنتهم بغيرها، وكان من أهمّ أهدافهم، العمل على تجزئة أمم الأرض، وإثارة الحروب والفتن

بينها، من أجل تمزيقها، كما هدفوا إلى إفساد عقائد الشعوب، وأخلاقها، ونُظُمها، وإبعادها عن أديانهم، حتى تفقد أهمّ عوامل قوّتها. . وأهم تلك الجمعيات: الجمعيات الماسونية بأسمائها الصريحة والمدلّسة، كجمعية أبناء العهد، والاتحاد اليهودي العالمي، ومحفل لا ينير إنترناشيونال، والروتاري، والليونز، وكلها واجهات للماسونية، وتنحصر أهدافها وأنشطتها في هدم الدين والأخلاق والانتماء الوطني والديني، واستشهد على ذلك بنُقول ونصوص من بروتوكولات صهيون، ومن توراتهم المزيفة، وتلمودهم، وبأقوال ماسونيين معاصرين من يهود ونصارى لا يخفون أهدافهم في السعي لإعادة بناء هيكل سليمان المزعوم، على أنقاض المسجد الأقصى المبارك الذي حاولوا إحراقه، ويحاولون ويعملون على هدمه، بحفر الأنفاق من حوله وتحته.

وفي (مكايد الصهيونية من قبيل عام ١٩٤٨م وحتى اليوم) تحدّث عن إثارتهم الفتن بين الفلسطينيين، وسعيهم لتحقيق الأحلام الصهيونية في (إسرائيل الكبرى) من الفرات إلى النيل، واستشهد بأقوال إسرائيل سيف، وبن غوريون، وبما ورد في كتاب (خنجر إسرائيل)، وكلّها تركّز على ضرورة قيام دويلات طائفية، لأن الوحدة العربية قادرة على مواجهة إسرائيل ودحرها، وبغير الوحدة لا تقوى أي دولة عربية على الوقوف في وجه إسرائيل. وهذا ما حدث فعلاً في الحروب العربية الإسرائيلية، فالعرب كانوا يقاتلون اليهود بعدة جيوش، وعدّة قيادات، بينما حاربهم اليهود بجيش واحد، وقيادة واحدة، فانهزم العرب المنقسمون على أنفسهم، وانتصر اليهود وتغلبوا بوحدة جيشهم، ووحدة قيادته.

وفي الخاتمة، رأى المؤلف أن اليهود يعملون لتقوية أنفسهم عسكرياً، وتقنياً، واقتصادياً، وسياسياً، و. . ويعملون على إضعاف جيرانهم العرب عسكرياً، وتقنياً، واقتصادياً، وسياسياً، و. . بالعمل

على إثارة الفتن بينهم، تمهيداً لتمزيقهم إلى كيانات هزيلة . .

كما تحدث عن مناهج اليهود في مدارسهم الدينية في العراق، وهي مناهج تربّي أطفالهم على كره العرب، والمسلمين، وحُبِّ اليهود، وتربيتهم تربية عسكرية، ليكونوا مؤهّلين لخوض أيِّ معركة في المستقبل ضدّ العرب، ويدرس مناهجهم، وإن كان المخطط واحداً في سائر البلدان التي يقيمون فيها . . واحداً في أهدافه البعيدة .

هذا الكتاب جدير بالدراسة والتأمل، ففيه قال اللواء خطاب كثيراً مما ينبغي أن يقال في هذه الأيام الحبالى .

* * *